الثقافة

مجلة فكرية تصدر في دمشق

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

الثقافة

فكرية جامعة
تصدر في دمشق

صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكّاش

الادارة والتحرير
ص.ب ٢٥٧٠
هاتف « ٢٢٩٩٨٤ »
دمشق - الجمهورية العربية السورية

REVUE
« AL_SAKAFA »
PROPRIETAIRE – DIRECTEUR EN CHEF
MIDHAT AKKACHE

DAMAS R. A. S.
B.O.P. 2570
Tel. 229984

حزيران
١٩٧٨

تكريم الادباء

منذ اكثر من ثلاثة اعوام أو يزيد انطلق أول نداء من مجلة الثقافة ، وما تزال هذه النداءات تتوالى تهيب بأبناء المحافظات ممن يمتهنون صناعة الحرف أن يلتقوا على تكريم الادباء الكبار منهم . تلك هي الظاهرة النبيلة التي يوفى بها حق الادباء ممن قدموا لامتهم الكثير الكثير من ادبهم لخدمتها ورفعة شأنها .

وقد استجابت فئة من الشباب وقدمت اكرم ما يمكنها ان تقدم لروادها الاوائل . الا ان فئات أخرى ما تزال تستجمع العزم في بعض المحافظات لتؤدي واجبها في هذا المضمار .

فالى هؤلاء نقول : نحن معكم ، ننتظر منكم الخطوات العملية السريعة للقيام بمثل هذا الواجب الكريم .

رئيس التحرير

القوي الذي رحم الضعفاء

الدكتور محمد ابو شهبه

لم تعرف الدنيا قويا بكل ما تحتمله كلمة «القوة» من معان، رحم الضعفاء بكل ما تحتمله كلمة الضف من معان مثل ما عرفت ذلك لسيدنا ونبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه، وهذه دعوى تحتاج الى دليل واجمال تفصيل ، واليكم أكثر من دليل في هذا التفصيل ٠

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قويا في نسبة، وقويا في شرفه وقويا في جسمه قوة لم تعرفها البشرية في تاريخها الطويل ، وليس أدل على هذه القوة الفائقة مارواه الرواة من قصة ركانة بن عبد يزيد ابن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف ابن قصى ٠ يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في جده عبد مناف قالوا : قدم ركانة من سفر فاخبر خبير النبي صلى الله عليه وسلم فلقيه في بعض جبال مكة فقال : يا ابن أخي بلغني عنك شيء (١) ،فان صرعتني علمت أنك صادق ، فصارعه فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسلم ركانة ، قيل عقب هذه المصارعة ، وقيل يوم الفتح . وقد روى قصة ركانة هذا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو داود الترمذي ،ولكن قال الترمذي :اسناده ليس بقائم ، ومثل هذا مما لايستدل به على حلال أو حرام لا يشترط فيه الصحة أو الحسن بل يكتفي فيه الصحة أو الحسن بل يكتفي بما فيه ضعف أوفي اسناده مقال لبعض النقاد ويسمى علماء «أصول الحديث »هذا بالضعف المحتمل ، وأما الضعف الشديد فهذا لايؤخذ به في الفضائل فضلا عن الحلال والحرام . والضعف المحتمل اذا كانت له شواهد ،أو روى من طرق عدة مثله أو أقوى منه ارتقى الى درجة الحسن لغيره وهذا فصل الخطاب في هذه المسألة حتى يكون الكاتبون والمحاضرون على بينة من هذا حينما يستشهدون،ويستدلون كرامة لا في الفضائل ، ولا في القصص ، فضلا عن الحلال ببعض الاحاديث ، أما الموضوع المختلق فلا يؤخذ به ولا الحرام ، على من يستشهد أو يستدل بحديث أو أثر عن الصحابة ٠ التابعين أن يتأكد من درجته صحة ، او حسنا ، أو ضعفا ، فان كان غير عارف فليسأل أهل العلم بالحديث والا كان مازورا يتقصير وان كان عارفا فاثمة أكبر ، وذنبه أعظم وصدق المبلغ عن رب العالمين حيث قال (من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ــ رواه الشيخان البخاري ومسلم وغيرهما ، وهو حديث متواتر لفظا ومعنى ٠

وكان صلى الله عليه وسلم قويا في عقله ، وقويا في

عقيدته ، وقويا في علمه ، وفي عمله وقويا خلقه ودلائل هذه القوة الاصيلة الجذور ، المتشعبة الفروع من القران والسنة والسيرة النبوية أكثر من أن تحصى (٢) ٠

والمراد بالضعفاء : الضعفاء في أجسامهم ، الضعفاء في جاههم ، والضعفاء في انسابهم وشرفهم والضعفاء في عقولهم، والضعفاء في أخلاقهم وسلوكهم ، واعمالهم ،والضعفاء في قلوبهم ، والضعفاء أمام أنفسهم ، وتجاه أهوائهم وشهواتهم والضعفاء في شخصياتهم فهؤلاء واشالهم وجدوا من القوى الرؤوف الرحيم،رحمة لم يجدوها عند غيره من البشر ايا كان هذا البشر وعطفا عليهم لم يجدوه عند غيره ، وبرا بهم لم يجدوه عند غيره وقبولا لاعزارهم ، بل والتماسا لمعاذيرهم لم يجدوه عند غيره ٠

وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغاية في الرحمة حينما قال « كل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون »٠ رواه الترمذي وابن ماجه بسند قوي ، فقد فتح بقوله هذا ابواب الرحمة ، وأبواب التوبة للعصاة والمذنبين ، وليس أحب الي المذنبين من فتح أبواب التوبة لهم ، ولا ألم لهم من التيئيس ، والتنبيط من رحمة الله تبارك وتعالى ،وقد روى الامام مسلم قصة الرجل الذي قتل تسعا وتسعين ، ثم جاء الى أحد علمائهم ليسأله هل له من توبة ، فأيسه وقنطه ، فماكان منه الا أن قتله وأكمل به المائة ! ثم قبل الله توبته٠

واليكم بعض المثل العليا التي زخرت بها السيرة النبوية٠

١ ـ في السنة الثامنة نقضت قريش العهد الذي كان بينهم وبين النبي صلوات الله عليه وسلم ، فلم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم ،الا أن يفزوهم في عقر دارهم ، فعزم على فتح مكة بلد الله الحرام ، ولم يلبث أن أخذ في التجهيز للخروج الى مكة ، وأذن في الناس بالتجهيز وأخفى مقصده بهذا التجهيز والدعوة اليه الا عن بعض خاصته من كبار الصحابة كالصديق ابي بكر ، وعمر ونحوهما ، فلما تجمعت الجموع وتهيأت للمسير اخبرهم بمقصده وقال ـ اللهم خذ العيون ، والاخبار عن قريش ، حتى نبغتها في بلادها ـ، لانه صلى الله عليه وسلم كان حريصا على عدم اراقة الدماء في بلد الله الحرام الذي حرم الله القتل والقتال من يوم ان خلق الله السموات والارضين ٠

كتاب سيدنا حاطب بن ابي بلتعة الى قريش :

ولما اجمع النبي صلى الله عليه وسلم المسير الى مكة كتب حاطب كتابا يخبر فيه زعماء قريش بالذي اجمع عليه الرسول ثم اعطاه مولاه لبعض بني عبد المطلب تسمى ـ سارة ـ وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشا ، فجعلته في عقاص شعرها ، ثم خرجت به فاذا الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما صنع حاطب ، فبعث عليا والزبير والمقداد ، وقال : انطلقوا حتى تاتوا « روضة خاخ »(٣) فان بها ظعينة معها كتاب ، فخذوه منها فانطلقوا تتعادى بهم خيلهم ، حتى ادركوها ، فقالوا لها : اخرجي الكتاب ، فقالت ليس معي كتاب ! فقالوا لها : لتخرجن الكتاب ، او لتكشفن الثياب ، فخافت واخرجته من عقاصها فاتوا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه : « يا معشر قريش ، فان رسول الله جاءكم بجيش كالليل ، يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله ، وانجز له وعده ، فانظروا لانفسكم والسلام (٤) ٠

سؤال النبي صلى الله عليه وسلم لحاطب :

فقال النبي صلى الله عليه وسالم ـ يا حاطب ما هذا ؟ـ فقال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرأ ملصقا في قريش ـ يعني حليفا ـ ولم يكن من انفسها ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها اهليهم ، واموالهم فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي بها ولم افعله ارتدادا عن ديني ، ولا رضا بالكفر بعد الاسلام ، فقال الرسول العظيم : (اما أنه قد صدقكم) ! فقال عمر : يا رسول الله دعني ، اضرب عنق هذا المنافق ، فقال الرسول العظيم : (انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدرا) ، فقال : (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) ! فبكى عمر وقال : الله ورسوله اعلم !٠

فانزل الله هذا التأديب الالهي وهو صدر سورة الممتحنة قال تعالى :

« يا أيها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول ، وإياكم ، ان تؤمنوا (٥) بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي ، وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة ، وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ، ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ، وودوا لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير »(٦) ٠

العظيم حقا من يرحم الضعفاء :

وان لنا هنا لوقفة ، فما كان حاطب منافقا،ولا ضعيف

الايمان ، بتزكية الرسول له ، ولكن في النفس الانسانية جوانب ضعف تطغى عليها في بعض الاحيان ، وتهوى بها الى ما لا ترضاه لنفسها ، وكل بني ادم خطاء ، وما كان هذا الضعف الانساني ليخفى على صاحب القلب الكبير ، والقوي الامين ، وصاحب الخلق العظيم ، فلا تعجب اذا كان الرسول صدقه فيما قال ، ورحم ضعفه ، بل ونافح عنه ، والقوي حقا هو الذي يرحم الضعفاء ، والعظيم حقا هو الذي يلتمس المعاذير لمن يستزلهم الشيطان ، في عفوة من صدق الايمان، ووازع الضمير ..

٣ ــ ومما يروى في هذا الباب ما روي انه صلى الله عليه وسلم دخل عليه رجل ذات يوم ، فاصابت الرجل من هيبته وقوة شخصيته رعدة !! مع انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يحيط به الخدم ولا الجنود المدججون بالسلاح ولا كانت في مجلسه مظاهر الكسروية ، ولا ابهة الملك . ولا فخفخة الرياسة ، فقال للرجل : هون عليك ، فاني لست بملك ، وانما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد(٧) نعم الله ــ الله ــ انا ابن امرأة تأكل القديد كما انك ابن امرأة ، فكلانا بشر ، وكلانا عبد الله ، ولست الها ، ولا ابن الله كما زعم النصارى في عيسى ، ولا ابن ملك متجبر !!

وكان صلى الله عليه وسلم تقابله المرأة او الخادم في سكة من سكك المدينة ، فتستوقفه ، فيقف لها حتى يقضي لها حاجتها ، روى الامام البخاري في صحيحه بسنده عن انس رضي الله عنه قال : (ان كانت الامة ــ الجارية ــ من اماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتنطلق به حتى يقضي حاجتها) وذلك لانه صلى الله عليه وسلم يعلم أن لهؤلاء الجواري والاماء حاجات وحاجات ، وانهن ضعيفات ومن شأن الضعيفات استهانة الناس بحقوقهن ، ولكن العظيم صاحب الخلق العظيم كان ارعى الناس لحقوق الضعفاء والضعيفات .

٤ ــ روى الامام البخاري في صحيحه بسنده عن مصعب ابن سعد قال : رأى سعد رضي الله عنه له فضلا على من من دونه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (هل تنصرون ، وترزقون الا بضعفائكم)(٨) وهذا الحديث مرسل في الظاهر(٩) ولكنه متصل في الواقع ونفس ولولا هذا لما أخرجه الامام البخاري في صحيحه ، لانه لا يخرج فيه الا الاحاديث المسندة المتصلة وقد جاء الرفع صريحا فقد اخرجه الاسماعيلي في (مستخرجه) فصرح فيه بسماع مصعب عن ابيه سعد ، ولكنه اقتصر على المرفوع وهو قوله صلى الله عليه وسلم (هل تنصرون ...) ورواه الامام النسائي بسنده عن مصعب بن سعد بن ابي وقاص عن ابيه بلفظ (أن سعدا ظن ان له فضلا على من دونه ..) الحديث، وله ما يشهد له فيما رواه الامام احمد والنسائي عن ابي الدرداء مرفوعا ولفظه (انما تنصرون وترزقون بضعفائكم) .

وذلك لان الضعفاء اشد اخلاصا في الدعاء ، واكثر خشوعا في العبادة واقرب من غيرهم صلة بالله تعالى ، وقد اراد الرسول المؤدب ، والعلم وذو الخلق العظيم بمقالته تلك للبطل سعد بن ابي وقاص ان يحمله على التواضع ، وعدم الزهو بقوته وشجاعته ، لما ظن او اعتقد ان له فضلا على الناس يعني الضعفاء منهم بشجاعته ، وقوته وبطولته ،وهذا لون من الوان التديب والتربية للصحابة ، وكانه صلى الله عليه وسلم قال : ان كان القوي الشجاع يترجح على غيره بفضل شجاعته فان الضعيف يترجح بفضل دعائه ، واخلاصه وان لله رحمات ، واحق الناس بها الضعفاء .

لقد وقفت طويلا عند هذا الحديث النبوي الشريف وهذا التأديب النبوي الكريم الذي زادني ايمانا ويقينا ان الاسلام دين الهي حقا ، وليس من صنع بشر ، وانما هو وحي الهي من عند ارحم الرحماء ولا سيما بالعجزة والضعفاء .

ان بعض الفلاسفة القدماء والمحدثين بنوا فلسفتهم على القوة وانه لا مكان للضعفاء في المجتمع وكذلك بعض المذاهب الباطلة كالشيوعية ، لا تعرف الا القوة ، والانتاج ، وترى ان الضعفاء والعجزة ليس لهم مكان في الحياة ولا حق في الانتاج ، ما داموا لا ينتجون كأن الانسان عندهم آلة صماء ، ان ادت مهمتها اعتنى بها صاحبها والا القي بها في العراء لانها صارت من سقط المتاع .

وقد سما النبي صلى عليه وسلم بالانسان ولا سيما الانسان المؤمن الى اقصى درجات الانسانية حين بين ان الضعفاء لهم مكانتهم في الحياة ومنزلتهم في المجتمع وانهم لم يفيدوا بقوتهم وشجاعتهم في الحروب فانهم يفيدون بعبادتهم ودعائهم فان فضل القوي بقوته وعمله والشجاع بشجاعته والماهر

●● القوي الذي رحم الضعفاء

في الصناعة واعداد العدة للقتال بصناعته فقد فضل الضعيف المؤمن المخلص باخلاصه ، وعبادته ودعائه وشدة صلته بربه وقد يخطيء خطأ فاحشا من يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم بهذا يدعو الى الضعف كلا وحاشا ·

اذ هو القائل : « المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف وفي كل خير » رواه مسلم ، وهو القائل « واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف » رواه البخاري ولكن النبي الرؤوف الرحيم اراد أن يبين أن للضعفاءصحةأومالا ،والخاملين بين الناس ·· مكانهم في المجتمع الاسلامي وما دام الله هو الذي خلقهم فلهم حقهم في الحياة كغيرهم سواء بسواء وان لله رحمة واحق الناس بهذه الرحمة الضعفاء وان الله هو الذي كرم الانسان فعلينا ان نكرمه قال عز شأنه : « ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »(١٠) ·

وبذلك الكلام الحكيم من الرسول صلى الله عليه وسلم سما الاسلام على كل الفلسفات والمذاهب المادية التي كادت تسود العالم اليوم ، ويزداد النبي صلى الله عليه وسلم سموا على كل بشر مهما كان اذا علمنا انه لم يكن ضعيفا قط والا لقال الحاقدون : ضعيف يرحم الضعفاء لانه لم يعرف في البشر قويا يرحم الضعفاء الا نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام ، ولا يكاد يختلف اثنان في انه صلى الله عليه وسلم كان اقوى الاقوياء ·

ان هذه الكلمة على ايجازها وغيرها مما هو على شاكلتها لتعتبر آية اخرى الى الايات الدالة على صدقه فاعتبروا يا اولي الابصار وهناك مثل اخرى كثيرة في سيرته صلى الله عليه وسلم تدل على رحمته بالضعفاء يطول المقال لو استقصيناها ·

وقد شملت رحمته بالضعفاء الحيوان والطير فقدروى انه صلى الله عليه وسلم كان له ديك مرض فقام على تمريضه ورعايته وكانت تأتي الهرة تريد ان تشرب من الاناء فلا تستطيع ، فيصغيه(١١) لها حتى تشرب وتهنأ ·

وهو القائل : « دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من حشاش(١٢) الارض » رواه الشيخان ، وهو القائل « لعن الله من اتخذ الحيوان غرضا(١٣) والقائل « في كل كبد رطبة اجر » جوابا لمن سأله أن لنا في البهائم لاجرا ؟ رواهما الشيخان ، وهو القائل « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا منفيالارضيرحمكم من في السماء » وشملت رحمته الجن والانس قال عز شأنه : « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين »(١٤) ·

وبعد فهذه باقة عطرة من الرياحين الشذية اقدمهاالى المسلمين في كل مكان ، في شهر الذكريات الخالدة في شهر الميلاد المجيد ، ميلاد نبي البشرية سيدنا محمد صلوات الله عليه يوم ولد ويوم بعث ويوم هاجر ويوم جاور الرفيق الاعلى ويوم الشفاعة العظمى الذي يحمده فيه الاولون والاخرون ·

الدكتور محمد محمد ابو شهبة

ـ ١ ـ كان ركانة ابن من النبي ، وهو في شجرة الانتساب الى عبد مناف في درجة والد النبي عبد الله فهو عبد لله بن عبد المطلب بن هاشم ، بن عبد مناف ، والمطلب في نسب ركانة هو اخو هاشم جد النبي والمراد من قوله شيء ، يريد النبوة .

ـ ٢ ـ راجع السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، ج ٢ ، من ٩٢ ـ ٥٤٧ .

٣ ـ مكان بين المدينة ومكة ·

٤ ـ وروى هذا الكتاب بصيغ اخرى ·

٥ ـ اي لا تؤمنوا بالله وبكم يعني لا سبب للاخراج الا ايمانكم ·

٦ ـ سورة الممتحنة ١ ـ ٣ ·

٧ ـ القديد : هو اللحم المقدد اي المشقق المجفف بالشمس ·

٨ ـ هل هنا بمعنى ـ ما ـ النافية يعني ـ ما تنصرون وترزقون ـ·

٩ ـ المرسل : هو ما حذف منه الصحابي وذلك لان مصعبا من التابعين وابوه سعد من خيار الصحابة السابقين فما رواه التابعي من غير ذكر الصحابي عن النبي صلى الله عليه وسلم يسمى مرسلا لانه اطلق عن التقييد بالصحابي ·

١٠ ـ الاسراء ٧٠ ·

١١ ـ يعليه ·

١٢ ـ حشراتها

١٣ ـ اي مرمى يتعلم فيه الرمي

١٤ ـ الانبياء ١٠٧ ·

اللغة العربية الفصحى

اسباب انحدارها وعوامل النهوض بهـــا

الدكتور فخر الدين قباوه

استاذ علوم اللغة العربية في كلية الاداب بجامعة حلب

نحن ، ابناء العرب في المشرق والمغرب نعاني كثيرا من الالام المشتركة ، ونحس بحاجة الى التعاون على معالجتها للتخلص من ذيول التخلف المرير · وبعض هذه الالام عميق الجذور في نفوسنا ، خطير الاثر في حاضرنا ومستقبلنا ، بعيد المدى في تكويننا الحضاري والانساني ، يكاد يستعصي على التقويم والاصلاح·

ولعل من ابرز هذه الالام المستعصية ما تنوء به لغتنا العربية الفصحى· فنحن مدرسين واداباء وعلماء · كثيرا ما نشكو مما آلت اليه هذه اللغة في ديار العرب · انها تعيش حبيس بعض الدوائر الصغرى من حياتنا العلمية ، ولاتستطيع أن تتنفس في كل ميدان ، وعلى كل قلم ولسان · بل ان اكثر المثقفين ومدعي العلم والادب ليعجز ان يتمثل هذه اللغة المباركة في نشاطه وانتاجه ، فيعب عليها سخطه وغضبه ، ويرى النجاة من عثراته في التفلت من أحكام العربية وقواعدها لينطلق في متاهات العجمة والضلال · حتى لقد اصبح من اشيع المبادىء واروجها أن تتسلل اصابع العامية والاعجمية الى لغة العلماء والادباء ، بله الدارسين والمتأدبين ·

العامية والثقافة

واننا لا ننكر أن تكون اللهجات العامية ، في بلاد العرب ، قد دخل عليها تحسن ملموس في هذا القرن ، بعد جلاء دول الاحتلال والاستعمار ، فارتفعت من حضيض العجمة المغرقة الى مستوى يتصل ببعض مظاهر الفصحى واساليبها · وقد ساعد في ذلك على انحسار اللغات الاعجمية التي كانت مستبدة بالثقافة والتعليم والتوجيه ، وتقلص رقعة الامية في المجتمع العربي · ولذا اصبحت ترى اللهجات المحلية تغزوها كلمات فصيحة ، وجمل عربية ، وعبارات قريبة جدا من الفصحى ·

ولعل هذه الظاهرة قد ضللت بعض الباحثين ، فباتوا يرون ان مشكلة اللغة امرها يسير ، وانها قضية اجتماعية ثقافية ، علاجها محو الامية ونشر التعليم والثقافة ·

انحدار الفصحى

والحق ان ارتفاع مستوى العامية واكبه انحدار لغة العلم والادب ، وتدني اساليبها ومفرداتها . كتابة وقراءة واداء واذا قدر لنا ان نسير في هذا الاتجاه مراحل اخرى فان اللغة الفصحى ستصبح ، بلا شك ، في خطر محقق ينذر بالفناء والضياع · فاللهجات العامية ، وهي تعارض الفصحى وتستقي منها ، تنقل اليها بعض تعابيرها وكلماتها على ألسنة المثقفين واقلامهم ، فتشدها الى ميادين غريبة تهدد بالاضمحلال والاندثار ·

ولهذا اصبح ضعف اللغة العربية في صفوف المثقفين والمتعلمين ظاهرة ملحوظة تزداد قوة يوما بعد يوم · فقد كان هؤلاء في عهود الاحتلال والاستعمار اشد حرصا على فصاحة الكلمة ، وبلاغة العبارة ، والاستقاء من ينابيع البيان العربي الاصيل ، والاعراض عن رطانة الاعاجم وسفساف العامة · اما اليوم فقد اصبحنا نراهم ينزلقون الى مهاوي العجمة العامة واللهجات المحلية ، فيستمدون منها عامدين او غافلين كثيرا من مادة تناجهم الادبي والعلمي · وانت ترى هذا الخطر يتفاقم مع الايام حتى ليكاد يشكل عثرة ازلية ، ومعضلة ابدية في طريق الامة نحو اكتشاف ذاتها ، وتحديد سبيل الحياة الكريمة المطمئنة · انها ليست مسألة لغوية اجتماعية فحسب ، وانما هي داء نفسي وعقلي وعلمي ، يهدد مقومات العرب وحضارتهم ووجودهم في الحاضر والمستقبل ·

واذا حاولنا أن نتلمس بوادر هذا الداء ، ونتتبع اصوله ومصادره ، لنضع ايدينا على الاسباب التي ولدته ورعت

نموه وتطوره ، استوقفتنا نقاط كثيرة متداخلة ، يتعذر حصرها وتحديد ملامح كل منها ·

وحسبنا ان نذكر هاهنا ابرزها واخطرها ·

ثنائية لغوية

ونعني بالثنائية اللغوية هذا التداخل العجيب بين الفصحى واللهجات الدارجة يستخدمها كل عربي ، مثقفا كان ام اميا · فهو يتلقى في طفولته الاولى لهجة عامية متهافتة ، ويزود بها في البيت ثم في الشارع والنادي والملعب والملهى ، وسائر مصادر الثقافة الشعبية · بل انه يتعلم بعضها أيضا في المدرسة والمعهد والجامعة ، ومن المذياع والصحافة والتلفاز ، ويمارسها في جميع شؤون حياته تفكيرا وتعبيرا · حتى اذا درس اللغة الفصحى قدمت اليه مثقلة بأوزار العامية وما تحمله من اثار محلية واعجمية تستبد بفكره ولسانه وقلمه ، وتغمر تلك الشذرات الفصحى ، وتفسد مدلولها وغاياتها التي ترمي اليها · فاذا اراد الكتابة ، بعد هذا ، او النظم او القراءة في محفل قام في نفسه صراع خفي بين قوتين متدافعتين متناقضتين ، احداهما تجره الى الكثرة المفرطة التي غمرته بها بيئته ، والاخرى تشده الى بوارق غائمة مما زودته بعض المصادر العربية الاصلية · فاذا هو يعاني عنفوان الصراع ، ويدفع نفسه جاهدا ليرتفع بها الى اصالة اللغة وصفائها ، ولكنه يجابه بسلطان العامية المسيطرة على ثقافته وقدراته ، وبتفلت زمام الفصحى من يده فينهار امام القوة الكبرى ، ويستسلم لتيارات اللهجات الدارجة ، تتخلل لغته فتفسدها او تطغى عليها ·

لغة هجينة

وقد كان لهذا الرجحان عوامل مساعدة متناثرة ، اظهرها وابلغها تسلط الاعاجم على البلاد العربية برجالهم وثقافتهم وحضارتهم ولغاتهم · فقد عشنا قرونا متوالية عبيدا او كالعبيد ، لسلطان الاعاجم مماليك وعثمانيين وبربرا وفرنجة ، فاضمحل التيه العربي ، وذاب الاعتداد بالنفس واللغة والدين والتاريخ ليحل محله الانبهار بالعجمة وزخارفها ، والاستسلام لبهرج التقليد والانحدار ، والتردي في احضان الصغار · حتى ان كثيرا من ابنائنا اصبحوا ينظرون الى الفرنجة ولغاتهم وثقافتهم بعين الاكبار والاجلال ، ويرون الحضارة الاسلامية واللغة العربية اقل من تملأ قلوبنا وعقولنا ، وتثمرا واقعا يمهد للتحرر والتحرر والتقدم · ولذا يطالعنا بين حين واخر تعشق ابناء العروبة للغات الاعاجم واخلاقهم ، وتفاخرهم باستخدام اللفات الهجينة في كلمات او عبارات او جمل ، واعراضهم عن البيان العربي تحت وطأة الضعف اللغوي الذي يعانون والانهيار النفسي الذي يكابدون ·

صحيح ان اللهجات الدارجة هي في الاصل تشويه للعربية الفصحى · وصحيح ايضا ان هذا التشويه لم يكن للاحتلال والاستعمار يد في غرس جذوره وانه نشأ وتولد من مصادر ثلاثة : انتشار الموالي والمولدين ، واستلطاف لكنه الاطفال والاعاجم ، والاعراض عن فحولة الكلام وفصاحته ، بما جبل عليه الانسان من اخلاد الى السهل الميسور ، وتفلت من قيود القوانين الحازمة · ولكننا لا نستطيع ان نغفل الاثار التي كانت للمحتلين والمستعمرين في تعميق هذا الاتجاه ، ورعايته ، ودفعه نحو الرسوخ والاستمرار ·

وقد ساعد على ترجيح كفة العامية وتثبيت دعائمها واستحكام سلطانها ، ان النتاج العلمي والادبي الذي اصدره العرب والمستعربون في هذا العصر كان مصبوغا بألوان هجينة مهلهلة ركيكة ، اقبل عليها المثقفون والمتعلمون ، فرسخت في اذهانهم والسنتهم تلك الرطانة ، ودمرت ما بقي من فلول العربية الفصحى واذا خلا الكتاب او الصحيفة من الركاكة والهجنة لم يكن في مستوى لغوي رائق ، وكثرت فيه الاخطاء والسقطات ، ولم يحظ بالضبط المناسب للحروف ، فكانت قراءته تزيد المثقفين ضعفا وانحدارا ·

مناهج قلقة :

والسبب الثاني الخطير في انحدار العربية الفصحى هو اضطراب التعليم في الوطن العربي · ونعني به ما يسود المناهج الدراسية ، والسياسة التعليمية ، واساليب التربية والتعليم ، وشخصيات المعلمين ، من فوضى وقلق واضمحلال ·

فالمناهج ، ولا سيما مناهج اللغة العربية ، لم تستطع ان تجد لها بعد الاستقلال مستقرا واضح المعالم ، جلي الهدف ، ناجح الوسائل ، تنطلق فيه من مراحل العبودية والاستعمار الى فسحة التحرر والبناء · وما زالت حتى يومنا هذا تتخبط بين مد وجزر ، وتنتقل من سيء الى اسوأ · فالمسؤولون يتعاورون هذه المناهج ، وينصرفون فيها كل بحسب ما تمليه عليه اوهامه ونظراته المرتجلة فيكون تقلقل وتغيرات مستمرة ليس لها ضابط هادف ، او روح عامة موحدة ·

العلوم الانسانية

والسياسة التعليمية في الوطن العربي ليس فيها وضوح يصل مراحل التعليم بعضها ببعض ، ويجعل كلا منها متمما لما قبله وبعده · وهي ما تزال تجاهر بالتنكر للعلوم الانسانية ، والتشجيع للعلوم الطبيعية · وقد ادى هذا ، بلا شك ، الى تضعضع مكانة اللغة العربية وما يدور في فلكها من علم وفن · ولهذا ترى جمهور الطلاب ، والمتفوقين منهم بخاصة ، ينصرفون بجهودهم الى دراسة الطب والهندسة والعلوم التطبيقية ، ويعرضون عن تجنيد انفسهم وكفاءاتهم لخدمة العربية ، فتفقد بذلك عقولا فتية وقلوبا متعطشة ، وقدرات هائلة ، ونفوسا مندفعة نحو الابداع والانتاج ·

التعليم بالعامية :

واساليب التعليم عندنا تغفل اللغة

●● اللغة العربية الفصحى

الفصحى ، وتجيز للمعلمين ان ينقلوا العلوم والفنون باللهجات المحلية الدارجة بل انها لتفرض احيانا ان يدرسوا بعضها باللغات الاعجمية • وكثيرا ما تنقل اللغة العربية الفصحى الى الطلاب باساليب عامية او شبه عامية ، فتدخل عقولهم ، وترسخ في السنتهم هجينة شوهاء • اضف الى هذا ان القراءة الصامتة والجهرية تشجع الطلاب ، في شكلها المتبع اليوم ، على اهمال الفصحى والتنكر لها ، واتقان الاساليب العامية في التعبير واللفظ والاداء • وبهذا يقوم في نفوس الناشئة انفصال كبيرين العلم والثقافة والخبرة من جهة ، واللغة العربية الفصحى من جهة ثانية • فاذا ارادوا نقل ما في نفوسهم ، من تجارب وخبرات وعواطف واخيلة ، لم يجدوا غير العامية او الاعجمية سبيلا •

اختبار الذاكرة :

والامتحانات ، على ما فيها من عناية بالعربية ، لم تعط اللغة الفصحى حقها من التقويم والتقدير • فكلنا يعلم ما تظهره مؤسسات التعليم من شروط خاصة لنجاح الطلاب في مواد اللغة العربية

بل في نجاحهم العام الذي يرتبط بتلك المواد • وكلنا يعلم ايضا ان تلك المظاهر جوف سطحية ، لا تدعمها اسس علمية تخدم تمكين الفصحى وسيادتها •

فالامتحان التحريري يجوز فيه كل تعبير ، وتغتفر فيه اكبر الاخطاء واشنع التراكيب ، ويكتفى فيه بأداء المعلومات دون النظر الى اللغة التي ادتها وعبرت عنها • ثم تكون المساعدات تلو المساعدات لانقاذ الراسبين ، ودفعهم الى الصفوف التالية او الجامعة او الشارع والامتحان الشفهي او العملي ليس له كبير اهتمام باللغة ، وحسب الناجح فيه ان يجتاز مقاييس اختبار الذاكرة والذكاء والاداء •

قدرة هزيلة

وشخصيات المعلمين لدينا ينقصها الوعي اللغوي والاجتماعي ، وتشغلها حاجات الحياة بأثقالها وهمومها • فالمعلمون في المدارس الابتدائية ، والمدرسون في المدارس الاعدادية والثانوية والمعاهد ، والاساتذة في الجامعات ، عندهم كثير من الرواسب اللغوية المختلفة التي تزيد اللهجات العامية قوة ونماء • ومدرس العربية خاصة يمثل في نظر الطلاب ، صورة الجمود والجفاف والتعصب ، لانه لم يحظ بالثقافة الواعية ، واللغة العملية الرشيقة ، والنظرة السليمة الى دور اللغة في التعليم ، وقدرتها على النمو واستيعاب حاجات الامة في مراحل حياتها المختلفة • ورجال التعليم عامة يعيشون في بؤس وفاقة ، يعانون مرارة الحاجة والحرمان فلا يجدون فرصة سانحة للنهوض بأنفسهم وطلابهم • وحسبهم أن يرمموا بعض الثغرات المتقادمة • ويقدموا الى الامة اجيالا من العقول المثقلة، والقلوب العازفة عن فصاحة العربية وادبها وعلومها وفنونها •

اضف الى هذا ان كثيرا من رجال التربية والتعليم يصل الى منصبه، ويتسلم زمام التوجيه والقيادة ، بشهادة شكلية من احدى الجامعات • او احد المعاهد او الاحزاب ، وليس لديه من الكفايات والامكانات ما يرشحه لهذا العمل الخطير •

فاذا علمنا ان مهمة المعلم تربوية قبل ان تكون تعليمية ، وانه لا يستطيع أن يقوم بها بنجاح الا حين يسيطر على قلوب طلابهم وعقولهم ، وينال ثقتهم وتقديرهم لشخصيته وكفاياته، ويجعلهم ينظرون اليه نظرة الاعجاب والتقليد •• اذا علمنا هذا كله علمنا اية جريمة نقترفها حين نهمل شخصية معلم العربية وغيرها • ونضع امام ابنائنا قدوة هزيلة في المدرسة والمجتمع •

تلك ابرز الاسباب التي هدمت صرح اللغة الفصحى ، قد بسطناها في شيء من الايجاز ، على امل ان نعرضها بالعلاج العملي في مقالة اخرى ان شاء الله • ونحن ، اذ نعد انفسنا لذلك ، نهيب بالعلماء والادباء ان يشاركونا في تشخيص هذا الداء ، ووضع العلاج الناجح له • لعلنا نعيد الى لغة القرآن اشراقها وسلطانها في العالم خاصة ، والمجتمع الانساني عامة •

● ● الدكتور فخر الدين قباوه

نداء حضاري من الاونيسكو : ردوا الممتلكات الثقافية الى البلد الاصل

نداء من اجل اعادة الممتلكات الثقافية الى بلادها ، اطلقه المدير العام لمنظمة الاونيسكو في باريس السيد امادو مختار مبو •

وتستند الاونيسكو الى ان بلدانا عدة على اثر الحروب والاحتلال الاستعماري او الاجنبي ، اخذت منها آثار ذات شان في وعي الهوية الثقافية للشعوب التي ابتكرت هذه الآثار ، كما هي تشهد على ثقافة هذه الشعوب وتمثل تراثا لا غنى عنه •

وصاغت الاونيسكو جملة معاهدات وتوصيات تمس الموضوع وفي آذار الماضي جمعت المنظمة في دكار لجنة خبراء فدرست انشاء لجنة داخل الحكومات يعهد اليها ، خصوصا ، في « دفع التعاون المتعدد الوجوه والثنائي من اجل رد هذه الممتلكات الى بلادها الاصل » •

والمسالة ستطرح في الاونيسكو خلال جمعيتها العمومية في الخريف وصولا الى اجراءات عادلة يجب ان تسهل للممتلكات طريق العودة الى بلادها الافريقية والاسيوية في شكل رئيسي •

صفد في التاريخ

خليل خلايلي

من الكتب التي صدرت اخيرا في العاصمةالاردنية « عمان » كتاب في تاريخ مدينة « صفد » للمؤرخ الكبير الاستاذ « محمود العابدي » تحت عنوان « صفد في التاريخ » في (٣٢٤) صفحة من القطع الكبير .

وليس غريبا على الاستاذ (العابدي) أن يصدر مثل هذا الكتاب في تاريخ (صفد) فهو وان يكن من مواليد (عصيرة الشمالية) (نابلس) يعتبر بمثابة احد ابناء (صفد) لطول اقامته فيها واحتكاكه باهلها ومعاشرتهم ومعرفتهم عن قرب . معرفة الخبير الواثق. فقد هيء له ان يستوطن هذه المدينة الجميلة التي تقوم على بقعة من اجمل بقاع الدنيا في اعالي الجليل مدة تزيد على خمس عشرة سنة اثر تعيينه من قبل السلطات الحاكمة في فلسطين آنذاك مديرا لاحدى مدارسها الابتدائية منذ سنة (١٩٣٣) الى (١٩٤٨) م . كما تسنى له أن يقضي فيها اجمل ايام حياته . اذ جاءها وهو في ريعان شبابه في السابعة والعشرين من عمره (المؤلف من مواليد ١٩٠٦) وغادرها وقد اكتهل . وامتلأ علما ومعرفة وحنكة وتجربة .

وهو يعترف في تقديمه لكتابه بفضل المدينة عليه اذ اتاحت له ان يكون شخصيته ويحقق آماله ويشبع رغباته الاجتماعية والعلمية ، حتى بات يشعر وكانه مواطن من الدرجة الاولى فيها ، وعزم على اقامة مسكن دائم له على ترابها الطهور . وباعتقادي انه لم يكن مخطئا في هذا العزم . فصفد درة من درر الدنيا جمالا وبهاءا وعذوبة ماء وطيب هواء . سيما وانها تستنشق نسيمها العليل من اعاليها المطلة شمالا على قمة جبل الشيخ « حرمون » الملفعة بالبياض الدائم طيلة ايام السنة ، وغربا على قمة جبل « الجرمق » اعلى قمم جبال فلسطين والمكسوة بالخضرة الدائمة طيلة فصول السنة ، في حين تطل من عليائها وشموخها جنوبا لتبسط امام ناظريها مياه بحيرة « طبريا » الفضية الرائعة .

وهي تقوم على بقعتها تلك منذ اقدم العصور وتعود بتاريخها الى أيام الكنعانيين . ومن المرجح أنها تقوم على بقعة (تريفوت) الذي ذكرتها النقوش المصرية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد بين مدن الجليل الاعلى .

وعرفت في العهد الروماني باسم «سيف» وكانت قلعة حصينة ومقرا للقيس . لم يرد ذكرها في الفتوحات الاسلامية « كطبرية » التي كانت قصبة للاردن آنذاك ، ولعلها اهملت بسبب كثرة ما اصابها من الزلازل . ولذا فهي لم تذكر في مؤلفات المؤرخين العرب مثال البلازري واليعقوبي والطبري وغيرهم .

الا انها عادت فازدهرت بعد ان بنى فيها الملك

الصليبي (فولك) قلعة سنة (١١٤٠ م) وقد صار لهذه القلعة شأن كبير في الحروب الصليبية نظرا لموقعها الفذ الذي يشرف على الجزء الشمالي من الجليل ، وعلى الطريق بين دمشق وعكا .

بعد معركة « حطين » سنة ٥٨٣ هـ ، ١١٨٧ م . تمنعت قلعة « صفد » بالبادية ، فرتب عليها « صلاح الدين الايوبي » جماعة يعرفون بالناصرية . ومقدمهم « مسعود الصلتي » ثم اتبعهم بقوة قوامها خمسمائة فارس . ثم قاد « صلاح الدين » الحصار بنفسه ، ولم يزل القتال متواصلا حتى سلمت في الرابع عشر من رمضان سنة ٥٨٤ هـ . ثم عادت الى الصليبيين ، فبعث « الظاهر بيبرس » حملة بقيادة الامير « بكتاش الفخري » ثم لحق به السلطان « بيبرس » في الثامن من رمضان سنة ٦٦٤هـ ، فنصب عليها المنجنيقات ، واشتد القتال بعيد عيد الفطر من ذلك العام حتى يوم الجمعة الثامن عشر من شوال ، حيث استسلمت القلعة ، ودخلها السلطان «بيبرس» وبنى فيها جامعين احدهما في القلعة والثاني الجامع « الاحمر » الباقي الى اليوم ..

لقيت ـ صفد ـ ذروة ازدهارها في زمن المماليك، حيث اصبحت احدى نيابات السلطنة الست في بلاد الشام ، وهي دمشق وحلب وطرابلس وحماة وصفد والكرك ، وفي هذا العهد انجبت اشهر رجالاتها ، « الصلاح الصفدي » ؛ « خليل بن ايبك » صاحب المؤلفات الشهيرة ، والمتوفى في دمشق سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٣ م) والذي يعتبر من أعظم الاعلام الذين ظهروا في بلاد الشام .

ولما تولى ـ تنكز ـ نيابة الشام في عهد الملك ـ الناصر محمد بن قلاوون ـ عمر فيها عام ١٣٢٥ م خانا ومستشفى ـ بيمارستان ـ .

وفي العهد العثماني بنى فيها الوزير العثماني المشهور ـ سنان باشا ـ سوقا .

وفيها ولد الشيخ ـ ظاهر العمر الزيداني ـ سنة ١٦٩٥ م ثم اسند ادارتها لابنه ـ علي الظاهر ـ بعد ان آل امر بلاد الجليل اليه ولهذا يدعوها المتاولة ـ بصفد العلي ـ . وكان فيها آنذاك معهد لتعليم الصرف والنحو والفقه وتفسير القرآن .

استولى عليها ـ نابليون ـ سنة ١٧٩٩ م وارسل لهذا الغرض الجنرال ـ مورا ـ ، الا ان هذه الحملة اضطرت الى الانسحاب بعد هزيمة ـ بونابرت ـ امام أسوار عكا . ثم احتلها المصريون بقيادة ـ ابراهيم باشا ـ الا انها ثارت عليهم سنة ١٨٣٤ م فعهد الى الامير ـ بشير الشهابي ـ باخماد ثورتها ، فاستعمل مع الصفديين كل شدة ، واعتقل عددا من وجهائها ، بينهم الشيخ ـ عبد الغني النحوي ـ نائب ـ صفد ـ والشيخ ـ محمد اللطي مفتيها والشيخ ـ محمد النقيب ـ نقيبها . واصدر عليهم اوامر بالنفي . وفي عهد ابراهيم باشا دمرها الزلزال في ١ـ١ـ١٨٣٧ م وبلغت الضحايا فيها وفي توابعها ـ ٢١٥٨ ـ قتيلا .

ثم عادت الى العثمانيين ، واعلنوها مركز قضاء في شباط ١٣٠٠ هـ وعين لها ـ سعيد شهاب بك ـ اول قائم مقام لها . ومن القائمقامين الذين تولوا امور قضاء ـ صفد ـ المرحوم ـ موسى كاظم الحسيني ـ .

استولى عليها البريطانيون في ٢٢ ايلول سنة ١٨٩١ م بعد ان هزموا الجيوش العثمانية ، وظلت مركزا للقضاء طيلة حكمهم . كان عدد سكانها سنة ١٩٤٥ ـ ١١٩٣٠ شخصا منهم ـ ٩١٠٠ ـ مسلم ، و ـ ٤٢٠ ـ مسيحيا و ـ ٢٤٠٠ ـ من اليهود .

من اشهر عائلاتها العربية آل الخضراء ومنهم الوجيه ـ صبحي الخضراء ـ وابنته الشاعرة ـ سلمى الخضراء الجيوسي ـ وآل قدورة الخالدي ، وآل النحوي ، وآل الاسدي ، وآل العباسي ، وآل سعد الدين ـ السعدي ـ ، وآل رستم ، وآل الحاج عيسى ومنهم الشاعر ـ محي الدين الحاج عيسى ، وآل حامد، وآل القلا ، والنجاجرة ومنهم آل الرفاعي ، وآل حجازي ومنهم الشهيد ـ فؤاد الحجازي ـ وآل الشاعر ومنهم القائد الثائر ـ عبد الله الشاعر ـ وشقيقه الشهيد ـ رشيد الشاعر ـ وآل محيي الدين ، وآل الخولي ، وآل عبد الرحيم ، وآل الصرصور وآل شما ـ وهم من الطائية ـ وآل دواه وآل صبح ومنهم الشاعر الدكتور ـ محمود صبح ـ وآل السيد وآل خليفة وآل صنديد ـ ويقول الاستاذ العابدي انهم بقية الزيادنة ـ وغيرهم .

سقطت ليلة الحادي عشر من ايار بيد عصابات

الصهاينة بعد ان دافع عنها اهلوها دفاع الابطال . وهي ما زالت تنتظر يوم الخلاص وترتقب المخلص الشهم الذي سيعيدها الى دنيا العروبة مشوقة وضاءة .

وكتاب ـ العابدي ـ ليس فريدا في بابه ، فقد سبقه الى الكتابة في هذا الموضوع ثلاثة من المؤرخين هم :

١ ـ قاضي صفد ـ علاء الدين علي بن عبد الرحمن بن حسن العثماني ـ المتوفى سنة ٧٦٩ هـ فقد الف كتابا بعنوان ـ تاريخ صفد ـ والكتاب مفقود ، الا ان القلقشندي ذكره ، ونقل عنه في كتابه ـ صبح الاعشى ـ .

٢ ـ الخالدي ـ احمد بن محمد بن يوسف ـ ـ جد آل قدورة الخالدي ـ على الارجح وهو من علماء وادباء عصره ، وكان مقربا من الامير ـ فخر الدين المعني ـ وقد الف له كتابا في تاريخه بعنوان ـ تاريخ الامير فخر الدين المعني ـ وتوفي في ـ صفد ـ سنة ١٠٢٤ هـ ـ ١٦١٥ م ـ ، وكتابه في تاريخ ـ صفد ـ مفقود ايضا .

٣ ـ اما الثالث فهو السيد ـ عبد الله مخلص ـ محاسب الاوقاف العام في فلسطين ، ولكن مؤلفه ظل اوراقا متفرقة ، ضاعت مكتبة هذا المؤرخ اثر نكبة فلسطين ، وانقطعت اخبار مخطوطته .

واذا كانت هذه الكتب الثلاثة لم تصلنا . بل وصلنا بعض من اخبارها فان ما كتبه المؤرخ الكبير الاستاذ ـ مصطفى مراد الدباغ ـ في مجلده السادس من كتابه العظيم ـ بلادنا فلسطين ـ عن ـ صفد ـ وقد وصلنا تاما ، وهو جهد عظيم لا شك ويستحق عليه مؤلفه عرفان الاجيال المتعاقبة على ارض فلسطين ـ ان شاء الله ـ بالفضل والجميل .

ويأتي من ثم كتاب مؤرخنا الاستاذ ـ محمود العابدي ـ حفظه الله ومد في عمره ـ جوهرة ثمينة في تاريخ هذا البلد العربي السليب . والذي نال الله ان يقصر امد اغتصابه وبرده للعرب والمسلمين في اقصر وقت .. وليس ذلك على الله بعزيز .

يقسم ـ العابدي ـ كتابه الى ثلاثة اقسام هي:

١ ـ صفد قبل عهدي بها .
٢ ـ ذكريات من صفد .
٣ ماساة صفـد .

اما القسم الاول فيقسمه المؤلف لى ستة فصول تحمل العناوين التالية :

١ ـ الفصل الاول : بداية صفد :

وفي هذا الفصل يتكلم المؤلف على ابناء قلعة ـ صفـد ـ من قبل الملك الصليبي ـ فولك ـ وعلى استيطان فرسان ـ الداوية ـ فيها ، ثم على اخراجهم منها من قبل السلطان ـ صلاح الدين الايوبي ـ العاطر الذكر . ثم كيف ردها ورثة ـ صلاح الدين ـ الى الفرنجة اثر اتفاق ـ الصالح اسماعيل ـ معهم ، ثم يتحدث عن تخليصها نهائيا من الفرنجة بقيادة الملك الظاهر بيبرس ـ رحمه الله ـ . ووصف يوم تحريرها وصفا جميلا مؤثرا .

٢ ـ الفصل الثاني : عصر المماليك بين القمة والهاوية :

وفيه يتحدث عن عهد ـ المنصور قلاوون وعن نيابة ـ صفد ـ التي اصبحت في عهده احدى نيابات الشام الست السابقة الذكر ، كما يستعرض مجمل الحوادث التي المت بصفد خلال هذه الفترة ، ثم ينتقل ليتحدث عن عمران ـ صفد ـ ويستشهد بكلام رحالة ذلك الزمان ـ شيخ الربوة الدمشقي ـ المتوفى بصفد سنة ٧٢٥ هـ ـ ١٣٢٧ ـ م . وبكلام ـ الخليل بن شاهين الظاهري ـ مؤلف كتاب ـ زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ـ والمتوفى ـ ١٤٦٧ ـ م . كما يلخص ما أورده ـ القلقشندي ـ في كتابه ـ صبح الاعشى ـ عن نيابة صفد .

٣ ـ الفصل الثالث : الحياة العقلية في العصر المملوكي :

ويكاد هذا الفصل يكون مقتصرا على ـ صلاح الدين الصفدي ـ خليل بن ايبك ـ وهو اكبر علماء ـ صفد ـ وادبائها في كافة عصورها ـ الثمينة ـ فالمؤلف يترجم للاديب العظيم ، ثم يتحدث عن بعض شعره وادبه . ويورد قائمة بمؤلفاته الثمينة ، والتي بلغ تعدادها اثنين وثلاثين مؤلفا ، وعلى راسها ـ الوافي بالوفيات ـ والذي يقع في ثلاثين مجلدا .

وينهي الفصل بالحديث عن بعض علماء صفد ، كابن خفاجة ، وابن حبيب ، وشيخ الربوة ، والاسدي، والخالدي ، ويترجم لعلماء من ـ آل حامد ـ .

٤ ـ الفصل الرابع : الحكم العثماني :

ويتكلم في هـذا الفصل ، على الحكم العثماني ، وعلى عهد الاميرين ـ فخر الدين المعني ـ و ـ بشـير الشهابي ـ لان ـ صفد ـ كانت ضمن املاكهما .

كما يتكلم على الشيخ ـ ظاهر العمر الزيداني ـ و ـ احمد الجزار ـ ، ثم ينهي الفصل بالحديث عـن الحياة في ـ صفد ـ في ذلك العصر ، مستشهدا بكلام الرحالة التركي ـ اوليا شلبي ـ الذي زار ـ صفـد ـ سنة ـ ١٦٤٥ ـ م ووصفها وصفا جميلا ، وتحـدث عن قراها وخاصة ـ الجش ـ و ـ ميرون ـ وفيهـا يقول : « وبدت لنا صفد حمامة بيضاء تتحفز للطيران » وكان قد اقبل عليها من الغرب ، وظهرت عليه اول ما ظهرت سفوحها الغربية التي تتسلق السفوح العالية المطلة على الاودية السحيقة، وخاصة ـ وادي الليمون ـ وادي ـ صفد المشهور ومنتزهها الجميل .

٥ ـ الفصل الخامس : احداث القرن التاسـع عشـر :

ويتحدث المؤلف عن ـ نابليون بونابرت ـ وغزوة المنطقة ، وعن هزيمته امام اسوار ـ عكا ـ كما يتحدث عن محمد علي باشا ـ وثورة الصفديين عليه ، وكيف انزل صديقه الامير ـ بشير الشهابي ـ بالصفديـين اشد العذاب حتى مات تحت سياطه عدد كبير منهم ، واضطر الكثيرون الى الهجرة عن بلدهم .

ثم يتحدث عن الزلزال الهائل الذي دمر ـ صفد ـ تدميرا كاملا ـ ١٨٣٧ ، وقتل عددا كبيرا من سكانهـا كما دمر بلدة ـ الجش ـ بكاملها وازال ـ قديثا ـ من الوجود ، كما اشاع الدمار في كافة سواحل الشام من ـ انطاكية ـ الى ـ غزة ـ .. ويعود ليتحدث عـن اليهود في ـ صفد ـ وعن هجرتهم اليها ، وعن عاداتهم وتقاليدهم ، وعن عيد الشعلة في ـ ميرون ـ .

٦ ـ اما الفصل السادس وهو بعنوان ـ قبـل الحرب العالمية الاولى وبعدها ـ :

فيورد فيه معلومات متفرقة عن ـ صفد ـ في اواخر العهد العثماني ، وعن الحرب العالمية الاولى ، وعن زيارتها من قبل : ـ جمال باشا ـ بدعوة مـن اهاليها وبرفقته الشيخ ـ اسعد الشقيري ـ ، ثم يتحدث عن ابنية صفد وازقتها . وعن الاحوال العامة فيها ، والاحوال الاجتماعية، وعن محاصيلها الزراعية، وبلدتيها . وعن عاداتها وتقاليدها ولا سيما افراحها واعراسـها .

ثم يتحدث عن ـ عهد الانتداب البريطاني وعـن حـوادث ـ ١٩٢٩م ـ وعن اعدام شهيدها ـ فـؤاد حجازي ـ في ١٧ حزيران ١٩٣٠ م مع الشهيدين ـعطا الزير ـ و ـ محمد حمجوم ـ وكلاهما من مدينـة ـ الخليل ـ الباسلة وبهذا ينتهي القسم الاول ليبدا القسم الثاني وهو بعنوان : ذكريات في صفد : وهـو عبارة عن مذكرات شخصية ، كان المؤلف قد سجلها لنفسه ، وقد جاءت معبرة جدا عن الحياة في ـ صفد ـ في تلك الفترة التي عاشها المؤلف فيها . وفيها معلومات غنية جدا وقيمة ، كان يجب ان تاخذ محلها في القسم الاول من الكتاب ، لانها عبارة عن حوادث تاريخيـة مهمة ، وهي ليست مذكرات عابرة .

والمأخذ الذي آخذه على المعلومات الواردة في هذا القسم انها معلومات ثمينة ولكن يعوزهـا الترتيب والتنسـيق .

وهو لا ينسى ان يحشر بين هذه المذكرات حديثه عن (شعراء صفد) ـ محي الدين الخضـراء ـ الملقب بمعري ـ صفد ـ والشاعر ـ محـي الدين الحـاج عيسى ـ الذي يورد له مجموعة كبيرة من شعره فـي هذا القسم ، ولست ادري ما العلاقة بين المذكـرات الشخصية ، وشعر شاعر معروف منقول بكامله عـن ديوانه ـ من فلسطين واليها ـ الصادر في ـ حلب ـ منذ اقل من سنتين .

ثم يودع الشعر الصفدي ، ليتحدث عـن بعض شخصيات ـ صفد ـ المعاصرة ، ويورد بعض تراجمهم، ثم يعود ليتحدث عن الحياة الاجتماعية في ـ صفد ـ فيتحدث عن الزواج ، والولادة والمآتم ، ثم يتبع ذلك الحديث عن الاستاذ ـ شـكيب الاموي ـ ثم عـن خيرات صفد ـ ، ثم عـن ـ صلح عشائري في صفد ـ جرى بين ـ آل الخضراء ـ وعشيرة ـ اللهب ـ التـي تستوطن في اراضي القضاء على مقربة من بحيرة الحولة.

ثم يتحدث عن مكافحة الامية في صفد ، ويقص

قصة اول جمعية تعاونية استهلاكية بصفد ، وينتهي القسم بكلامه على حرب ١٩٤٨ م ، لينتقل بدوره الى القسم الثالث وهو بعنوان :

مأساة صفد :

اما هذا القسم من الكتاب وهو الثالث والاخير فيكرسه المؤلف لاستعراض ما قالهالخبراء العسكريون يهود وعربا عن سقوط المدينة بيد العصاباتالصهيونية الباغية . وهو عبارة عن مقالات كتبت ونشرتفي صحف عربية فجمعها المؤلف في كتابه محاولا بذلك الوصول الى سر مأساتها وسبب سقوطها ، الذي ادهشكافةالعرب آنذاك وخيب آمالهم ، واثار موجة من السخط والاتهامات القيت جزافا من افواه اناس اعتصرتهم الآلام فنضحو اسبابا وشتائم واتهامات .

والقسم في مجموعة يتالف من خمس مقالات وهي:

اما الاولى فقد كتبها ارهابي يهودي كان احد قواد الوحدات المحاربة في المدينة ، نشرت ترجمتها مجلة ــ الهدف ــ في عددين متاليين تموز وآب ١٩٥٠ــ وهي بعنوان ــ معركة صفد الكبرى ــ .

اما المقالات الاربع الاخرى فهي لعسكريين عرب ممن ساهموا في الدفاع عن المدينة ، او كانوا ضباطا في جيش الانقاذ آنذاك .

واولاها : مقالة بعنوان ــ سقوط مدينة صفد ــ للكاتب العسكري السيد ــ جادو عز الدين ــ وقد نشرت هذه المقالة في مجلة ــ شؤون فلسطينية ــ الصادرة في ــ بيروت ــ في عدد ــ ايار ١٩٧٣ ــ .

اما المقالة الثانية ، فهي بقلم العقيد الركن المتقاعد ــ محمد هشام العظم الذي تسلم امر حامية ــ صفد ــ وقائل للحظات الاخيرة فيها . والمقالة بعنوان ــ حقائق عن معركة صفد وسقوطها ــ ونشرت ايضا في مجلة ــ شؤون فلسطينية ــ في ١٨ــ١ــ١٩٧٤ .

والمقالة الثالثة : للمقدم المرحوم ــ وصفي التل ــ وهي بعنوان ــ اسباب سقوط صفد ــ ونشرت في جريدة ــ عمان المساء ــ في العددين الصادرين في ــ ١٩ ، و٢٦ ــ سنة ١٩٦٣ .

وينهي المؤلف هذا القسم بايراد ايضاح للملازم ــ عز الدين التل ــ الذي شارك ايضا في المعركة كقائد سرية . واذا كان مجالنا في هذه المقالة يضيق عن الغوص في مضمون تلك المقالات واستخلاص النتائج منها . الا انه لا يسعنا الا ان نعقب على ما جاء فيها بقولنا : ان العرب عام النكبة لم يكونوا على مستوى اعدائهم الصهاينة ، نفسيا ، وجتماعيا وتدريبيا ، ولااستعدادا لخوض المعارك الوالجة ، فصفد التي كان عدد سكانها العرب يزيد على احد عشر الفا ، لم يكن فيها فرقة مدربة كفرقة ــ البالماخ ــ او ــ الهاجاناه ــ ، وانما كل ما كان فيها عدد من المتحمسين الشجعان الذين لا يحسنون الفنون العسكرية من ضبط وربط وهيبات لمثل هؤلاء ان يقوموا بعمل عسكري ناجح . كما ان المتطوعين الذين دخلوا المدينة لم يكونوا على حال احسن من حال اهل ــ صفد ــ .. فجميع الذين خاضوا المعركة الخاسرة ، اللهم باستثناء بعض الضباط الاشاوس ، الذين كان اثرهم محدودا جدا ، كانوا متطوعين لم يسبق لهم التمرس بفنون القتال ، ولم يخوضوا معارك سابقة ، كما كانت تعوزهم المعرفة باستراتيجية البلدة وبمواقعها الجغرافية ولهذا لم يكن بالامكان احسن مما كان .. وليكن لنا في سقوط ــ صفد ــ وغيرها من بلدان ــ فلسطين ــ العبرة كل العبرة لمعاركنا القادمة .

هذا مجمل لما جاء في هذا الكتاب الرائع .. الذي نحن احوج ما نكون اليه في هذا الظرف العصيب الذي تجتازه امتنا العربية الخالدة ، ولا شك أن المكتبة العربية ستزدان به طويلا لانه سيملأ فراغا فيها ما كان لغيره من الكتب ان يملأه ، واذا كان لنا بعض الملاحظات على الكتاب ، فهي لا تقلل من قيمته ، وانما تعزز ما جاء فيه ، سيما واننا لا نتبغي من ورائها الا نبل المقصد ونشدان الكمال .

وملاحظاتنا على الكتاب تتلخص بما يلي :

١ ــ لقد اغفل المؤلف الكلام على تاريخ ــ صفد ــ في العصور القديمة ، الكنعانية والرومانية وكان الاجدر به ان يفرد فصلا للكلام على ذلك .

٢ ــ اغفل المؤلف الكلام على تاريخ امهات البلدان في قضاء ــ صفد ــ كالجش ، وسعسع ، وعلما ، وقدس .. وهي بلدان ازدهرت في العصور الكنعانية والهلنستية ، وقفزت معظمها الى مرتبة المدن وخاصة ــ الجش ــ التي بناها الكنعانيون في الالف الرابع قبل الميلاد واطلقوا عليها اسم ــ احلب ــ ، ثم كبرت وازدهرت في العهود الهلنستية وحملت ــ جسكالد ــ ولعبت دورا مهما في حرب اليهود والرومان ، حتى خلصها القائد الروماني العظيم ــ يتطس ــ ابن الامبراطور ــ فسبسيان ــ من عسف اليهود ، ومن طغيان قائد حزب ــ الخنجر تحت العباءة ــ الارهابي ــ يوحنا ابن لاوي ــ ، والتي ظلت صامدة مدة ستة اشهر متتالية بعد سقوط مدينة ــ صفد ــ الى ان وقعت في شرك الصهاينة في الثلاثين من تشرين الثاني سنة ١٩٤٨م .

٣ اغفل المؤلف الترجمة لبعض مشاهير ــ صفد ــ المعروفين واخص بالذكر منهم :

أ ــ الشيخ اسعد قدورة : وهو من ابرز شخصيات ــ صفد ــ ومن الذين تسنموا ارقى الوظائف في القضاء والافتاء في ــ عكا ــ و ــ صفد ــ .

ب ــ الشاعرة ــ سلمى الخضراء الجيوسي ــ : ابنة السيد ــ صبحي الخضراء ــ وهي شاعرة معروفة ، لها اكثر من ديوان شعر ، وشعرها منشور في ارقى المجلات الادبية العربية وخاصة مجلة ــ الآداب ــ البيروتية وهي في الشعر ، بمنزلة ــ فدوى طوقان ــ ، و ــ نازك الملائكة ــ و عاتكة الخزرجي ــ وغيرهن من شاعرات العرب .

والدكتور محمود صبح وهو شاعر معروف ايضا له شعر منشور وله ترجمات عن الاسبانية .

واخصها بالذكر مذكرات الشاعر الاسباني ــ لوركا ــ وهو استاذ الادب العربي في احدى جامعات ــ مدريد ــ .

د ــ الاستاذ ــ فخر الدين القلا ــ : وهو من كبار رجال التربية العرب الآن ، وله عدد من المؤلفات التربوية ، ويعمل مدرسا في كلية التربية بجامعة دمشق ، وهو من اكثر شباب ــ صفد ــ علما ومعرفة ودماثة واخلاصا .

٤ ــ اغفل المؤلف اغفالا كاملا ذكر ــ جغرافية صفد ــ وباعتقادي انه كان من الافضل ، ان يفرد فصلا للحديث عن جغرافيتها فيبين موقعها وحدودها ، ويذكر مواقعها المشهورة ، وجبالها ومياهها وينابيعها وبساتينها ، ويرسم مخططا لحاراتها واحيائها ، وشوارعها وطرقها ، ويتكلم بالتالي على حياتها البشرية ويفرد فصلا للحديث عن عائلاتها ، واصولهم وانسابهم ، ويبين اماكن سكناهم بعد هجرتهم وما كان ذلك عليه صعبا ، وهو المؤرخ الاديب والعالم باحوالها واحوال اهلها .

وبعد : لايسعني في الختام الا ان اتقدم من المؤلف الجليل ، بخالص شكري وعظم امتناني ، على جهده العظيم الذي بذله في سبيل احياء ذكرى بلد احببناه ووطن اضعناه ، ويسعدني ان اطمئنه بان كتابه يعد بمثابة الخطوة الاولى للمسيرة الظافرة نحو الوطن الحبيب الذي ما كنا لنضيعه لولا ظلام الجهل الذي خيم طويلا على ربوعنا المقدسة .

دمشق

خليل خلايلي

الرحيـــل

اسماعيل عدره

الى اليوم الرابع عشر من شباط

رحلت ، وقـد طال الرحيل مـع النوى ... وفي القلب شـــوق لاهف ، وعتـاب

رحلت ، ولـم ترجع الى روضة الهـوى ... وعهد الهوى ، بعـد الرحيل ، ايـاب !

ترى ، هـل علمت الروض بعـدك مقفرا ... وأن أزاهير الجمال يبـــاب !؟

وهـل طـاف حـلم من سـائك ، مـرة ... يضيء نفوسـا يعتريهـا ضبـاب ؟!

لكـم أغمض العينين في زحمـة الدجى ... لعـل الدجى ، رغـم البعـاد ، يجـاب

فألمـح طيفـا مـن محيـاك ، واجمـا ... حزينـا ، وقـد لف الوجـود خـراب

وكـم طـاف قلب بالدمـاء ، مخضب ... رجـاء الرؤى ، لكـن رؤاك سـراب

فيمضي وأمضي ليـــلة بعـد ليـــلة ... وفي الصـدر جـرح ياهزار ، سحـاب

فـأواه ، هـــل لقيـــا لقلب محطـم ... أم العمـر يمضي ، والرحيل جـواب ؟!

سلمية ـ اسماعيل عدره

احاديث في الادب المصري

عبد الرحمن الشرقاوي

ثروت اباظة

الشعر العربي هو التراث الادبي للعرب يعتد بهم عبر التاريخ منذ الجاهلية الاولى ثم هو يسير بتاريخهم على شاطىء الحياة ينقل الى الناس هذا التاريخ ، فتتناقله الاجيال ويلقفه راو عن راوية حتى يبلغ عصرنا الحديث بموسيقاه التي اسمعت كل الاجيال العربية الماضية . فنحن نحس في هذه الموسيقى عبير تاريخنا وعبق ماضينا ، ففي اهازيج هذا الشعر نسمع صوت الترك وصوت الاسلام ونسمع صوت معاوية وصوت الرشيد وعلى هذه الموسيقى التفت قلوب العرب وقد تغلغلت هذه الاوزان في نفوسهم فهواة الشعر منهم لا يستسيغون الشعر أن لم يكن في قالب الوزن وفي رنين القافية .

والشرقاوي من هؤلاء الذين يرتبطون بتاريخ عروبتهم واسلامهم وخروجه على موسيقى الشعر ليس في ذاته نفورا وانما هو محاولة للتجديد. ولكن الشرقاوي بأصالته ادرك ان القصيدة الغنائية والقصيدة المفردة لن تستطيع ان تصل الى الناس في هذا النسق الجديد من الشعر وفي ذكاء استطاع ان يعدل بالشعر الحر الى طريق آخر لعله انجح طريق يمكن ان يسير فيه الشعر الحر .

لقد اختار الشرقاوي لهذا الشعر ان يكون شعر ملحمة او شعر مسرحية وفي هذا الميدان يستطيع الشعر الحر ان يزدهر ويبلغ قمة نجاحه فان الذاهب الى المسرح يعنيه ان يسمع حوارا مطلقا ويرى حوادث المسرحية ـ فاذا اضفنا الى ذلك هذه الموسيقى المتخفية وراء الحوار لا تضغط عليه بالقافية ولا تلح عليه بالبحر مكتملا ـ استطاعت المسرحية ان تصل الى نفس المشاهد من احسن الطرق واقربها الى نفسه .

وفي الملحمة ايضا يجد الشعر الحر ميدانا فسيحا فان الحديث فيها يكون منغوما دون ان تحس ان الشاعر يعتسف القافية او يصطنع اكتمال البحر الامر الذي لا يصل الى الكمال فيه الا عباقرة الشعراء وهم قلة نادرة . وانت تلمح استخدام الشرقاوي للشعر الحديث في الملحمة في رسالة الى شهيد وفي رسالة الى جونسون.

ولا نستطيع ان نتكلم عن الشعر الحر دون ان نذكر المرحوم علي احمد باكثير من اوائل الذين كتبوا به

المرحية الشعرية الا ان عبد الرحمن الشرقاوي هو الذي اصل هذا الاتجاه وثبته وانشا عليه اعماله الرائعة مأساة جميلة ، الفتى مهران ، تمثال الحرية ، الحسين ثائرا ، الحسين شهيدا ، وطني عكا .

وعبد الرحمن الشرقاوي من مواليد ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٠ وقد تخرج في كلية الحقوق عام ١٩٤٣ ومن هؤلاء النفر الذين وهبوا انفسهم لقضية بلادهم واعتبروا انفسهم مسؤلين عن جميع ما يقع في بلادهم وجميع ما يقع لبلادهم .

وقد بدأ الشرقاوي حياته الادبية شاعرا شانه شان كل الادباء تقريبا ولكنه ظهر على الناس ككاتب مقال وان صفة كاتب مقال هذه لم تترك الشرقاوي في كل اعماله الفنية التي قدمها . فهو دائما يقول رايا في عمله الفني وهو دائما يجهر بهذا الراي بعنف وبقوة وبايمان وذلك لانه مقتنع بما يقول اقتناعا مطلقا ولا يريد لكلامه ان يتخذ مسيرين او يتسمت اكثر من اتجاه .

ولغة الشرقاوي الفنية تتميز بالطلاوة والغنى وتحس ان وراءها ثقافة عريضة اعد الشرقاوي بها نفسه من مختلف الثقافات .

ولكنك تحس فيها قبل هذا تلك الروح الشعرية التي لا يستطيع احد ان يعرف ماتاها ومن اي سماء يوحى بها الى الشعراء .. تلك الروح المجنحة تشيع في ارجاء العمل الفني همسا واني الحظه ففي الاهازيج يصل الى القلب فهو خفق القلب وجرسه وموسيقاه .

ولا شك ان الشرقاوي هو رائد المرحية الشعرية في الشعر الحر ولا اعتقد ان احدا ادى للشعر الحر ما اداه الشرقاوي بما فتح له من هذا الميدان وبما ثبت له فيه من الدعائم وما وطد من اركانه .

ولا يقف جهد الشرقاوي عند المرحية والملحمة والشعر الحديث بل هو كاتب روائي وكاتب قصة قصيرة من الطراز الاول . تحس وانت تقرأ له ان نبض مصر في نبض الكاتب يحس بمأساة بلده ويكتب هذه المأساة كما يتصورها هو . فهو من اصدق كتاب عصرنا وهو يقدم لك اعمال من خلال رؤياه هو وهو يقدمها لك واضحة جلية فهي عنده ليست مجرد احساس وانما هي ايمان وعقيدة ومبدأ . وان كان الشرقاوي في مرحه يتجه الى العرب اجمعهم في تاريخهم القديم والحديث ، الا انه في الرواية والقصة القصيرة يتجه الى الفلاح الذي احبه الشرقاوي ووهب له اعز ما يهب الكاتب لمنبته الاصيل ومنشاه الاول .

عيادة في الريف ـ يكتبها ـ عبد السلام العجيلي

صدرت عن وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق مجموعة خواطر جديدة للدكتور عبد السلام العجيلي بعنوان ـ عيادة في الريف ـ ، اقرب الى اسلوب القصة المعروف له . وميزتها حقيقة وقوعها من خلال تجارب العجيلي طبيبا . والعجيلي يعلق على التجربة بقوله : ـ كتبت فصول ـ عيادة في الريف ـ على مدى خمس سنين ، في فترات متقطعة ، بحسب ظروف موحياتها او ظروف نشر بعضها في مجلة ـ طبيبك ـ . وحين عدت فقراتها جملة ، عند تهيئتها للنشر في هذا الكتاب ، اكتشفت فيها مآخذ جديرة بان تلفت نقاد الكتاب عند قراءتهم له . فاردت ان اسبقهم في الاقرار ببعضها ، او لاكون دليلا لهم عليها .

فمما يمكن ان يؤخذ على هذه الفصول انها اهملت التحدث عن أمور كثيرة مهمة في حياة طبيب الريف وفي حيوات مرضاه . والواقع اني اعرف من غيري بما تجنبت الحديث عنه من قضايا مهمة في البيئة التي اعيش فيها ثمة امور حيوية لم اخض الكلام عليها لانها تعتبر محرمات تابو ، في اوساط الريف البدوي التي فيها تجري وقائع هذا الكتاب . وهناك امور اخرى ليست محرمة ، الا ان الاحاطة بها غير ممكنة في كتاب هذه نوعيته . وانا ما زلت طبيبا ممارسا ، وما زلت اواجه كل يوم ما يؤسي وما يسلي وما يحفز ردود فعل متباينة . وما اوردته في الفصول التي قدمتها هنا نماذج مما واجهت وليست كلا ولا يمكنها ان تكون كلا جامعا شاملا ـ .

تضم المجموعة ستا وعشرين خاطرة جذابة الاحداث . مريرة احيانا ، وطريفة احيانا . وكلها قصة الانسان مع الحياة منذ بدأ الى ان يموت .

عدد صفحات الكتاب ١٢٦ من القطع الكبير .

ماذا اجيب ...؟

عدنان قيطاز

« ساله عنها ثم سافر بعيدا ولم يرجع ، فالى روح صديقي الاستاذ عبد المنعم حداد الذي اختاره الله الى جواره اثر حادثة مؤلمة في ديار الغرب اقدم هذه الحروف الباكية »

أسفا عليك يضمك اللحد ... وتغيب لا هزل ولا جد

أسفاً عليك مضرجاً بدم ... يبكي على وثباتك المجد

أسفاً عليك .. على منى بليت ... قبل الاوان وصوّح الورد

كنت الصبا الفينان مؤتلقاً ... ملء العيون تروح أو تغدو

بسمات وجهك فوحها عطر ... ورفيف ثغرك بوحه شهد

والناعم الموروث من خلق ... متجدد لم يله العهد

والسامرون على سماحتهم ... من طيباتك يعظم الرفد

تروي على الاسماع قافيتي ... فتهزهم بالشعر اذ تشدو

أسفاً لقد طويت ساحبها ... يوم النوى وتجهم السعد

طويت على عجل وما تركت ... الا الاسى في خافقي يحدو

بالامس كنت معي .. وتسألني ... والدمع في عيني هو الرد

ماذا أجيب .. وأدمعي حرق ... وعلى ابنتي يتمزق الكبد

يا سائلي عنها لقد رحلت ... ورحلت .. لكن فقدك الفقد

في ذمة الباري أحبتنا ... نزلوا .. ونعم المنزل الخلد

لقاء مع

« الاديـــب »

علي المصري

اليوم .. هو الاثنين
التاريخ ١٩٧٨/١/٣٠
الساعة .. عند منتصف النهار بالضبط

المكان .. مكتب الاستاذ الشاعر نـزار قباني في الطابق الخامس من بنـاء دار الكتاب للطباعة والنشـر ببيروت .

ـ ادير رقم الهاتف ٢٢٥١٣٩ وانتظر ..
الجواب على الطرف الآخر .. الو .. نعم
من ؟ .. هل الاستاذ البير اديب موجود
نعم هو المتحدث .
ـ احترامي استاذ البير
اهلا بكم

ـ استاذي .. علي المصري . من دمشق . يحمل اليكم اشواق الفيحاء ، وتحايا الغوطة ، ونسام الربوة ودمر . والصحب الذين يتمنون لكم طول العمر وطيب العيش ورغيد الحياة .

اهلا بك وبهم في بيروت يا اخي .

ـ استاذ البير .. الاستاذ عدنان مردم بك شاعر دمشق الفيحاء يقرئكم السلام .. ويحملني هديته اليكم عشرة اعداد من مسرحيته الشعرية الجديدة « دير ياسين » ثلاث منها معلومات :

الاولى لكم ، والثانية للزميل الشاعر فوزي عطوي والثالثة للاستاذ محمد العدناني . والبقية الباقية تبقى تحت تصرفكم ، تهدونها من تشاؤون .

اخ علي .. اهلا بك وبشاعرنا الكبير عدنـان .. تفضل انا بانتظارك ، فالحديث ذو شجون .

ـ عفوا استاذ البير .. لست ادري اذا كان يناسبكم موعدي في الساعة الواحدة ، لأسعد بلقياكم وانقل لكم هدية الشاعر عدنان مردم بك ، وتحيات الآخرين .

الآن ..؟!

ـ نعم

اذن ، اهلا بكم ، انا بالانتظار .. اتعرف العنوان؟

ـ ولو أستاذ .. وهل يخفى القمر !!.. اني في طريقي اليكم .. الى اللقاء ..

وعلى طريق الشام ـ مقابل وكالة « فيات » البناء الثاني على يمين الشارع الرئيسي باتجاه دمشق ، وعند التقائه بأحد روافده الفرعية .. وعلى الباب في الدور الثالث قابلتني ملصقة غلاف مجلة الاديب التي لاتخطؤها العين بحروفها البيضاء على ارضية سوداء . وقفت بعد تردد وضغطت على الجرس بجانب لوحة نحاسية كتب عليها « البير اديب » دون القاب او بروتوكولات .. وتسلل صوت الجرس الى مسامعي ، وكأنه صوت هاتف آت من الماضي السحيق ليضفي على اجواء السكون المخيم على البيت العتيد نوعا من الحركة والحياة

وبعد لحظات من نزيف الترقب والانتظار خلتها طويلة ، طويلة ، كطول نصف القرن من السنوات التي اكاد الامس نهاياتها من عمري .. اذ راحت تتداعى في ذهني ملايين من الصور الملونة بالاحمر والاسود والاخضر وتتدحرج آلاف الافكار . وتتدافع مئات الكلمات ... هربت ، هربت كلها مني وتركتني وحيدا مع حيرتي ، حينما شق الباب وتدفقت من خلاله شلالات الوهج والالق من جبين عال وضاء ، خلفيته جو ضبابي اشبه بأجواء المعابد الضاربة عمقا في ضمير الماضي السحيق بكل غموضها وشموعها وبخورها واجوائها السحرية المسربلة بالغموض .

وتسلل الى اذني صوت ناعم كأنه قادم من عالم الرؤى والاحلام ، ليوقظني من غفوتي التي تغلغلت عبر مساربها ..

اهلا استاذ علي !

ـ وقاطعته .. احترامي استاذ البير .. ومددت يدي وانا مأخوذ بهيبته وسمته الرصين .. لاصافح يدا طالما نعمنا بعطاياها . وشد على يدي مرة اخرى ودعاني للدخول .

وانتزعت اقدامي عن الارض وخطوت بحذر داخل اجواء الاديب ، وفي ذهني يتلامح قول ابي العلاء :

خفف الوطء مـا أظن اديم الـ
ارض الا مـن هـذه الاجساد

واوصدت الباب خلفي واسرعت في رحلة الادب مع مجلة الاديب وصاحبها ، وسارت بركابنا ذكريات رغيدة لماحة لمثار نفع تضفي على الجو ديمة ورديةالسديم « واسيافنا ليل تهاوى كواكبه » وروائع القصيد تلوح في ذاكرتي فتلفني بزوبعة من عطورها العابقة في رحب المكان . وقادني الاديب الى مكتب جلس اليه بعد أن جلست قبالته ، وبدا يتحدث بطلاوة ورقة عن رحلة الاديب والادب ، واوغل بي عبر مساربها الندية، ورحت اتملى من ذكرياته الطارفة والتليدة عن جيل الادباء الكبار الذين سبقونا ، وبنو صروح الادب بعد ان مهدوا لنا الطريق .. وانعم بخبرة الاعوام الخصيبة وحكمة السنين الخيرة . واتلفن عنه سنن الحياة ونواميس الادب ودروبه الشاقة الشائكة التي على الاديب أن يعد نفسه للسير على ارضيتها المتفجرة ، بحذر ، وتؤدة ليبقى بعيداً عن مزالق الرحلة ومتاهات الدروب .

جلست مصغيا ، فافكار تشيلني واخرى تحطني احدق فلا ارى شيئا غير ضباب الذكريات العابقة بالشوق تترى ، واصيخ السمع فلا تشوه علي لحظة التلقي غير دفقات الدم الحار تتزاحم في عروقي ، وسحبات الهواء المختلسة عبر انفاسي ، فأدقق الانصات لحديث يتساوق عذبا نديا وكأنه آت من وراء حجب البيت المتشامخة وراء المكتب ، فيهبط علي رقيقا نديا يشدني لمتابعته بسلاسل سحرية معلقة بوشائج الذكريات الغالية عن دمشق العروبة وامجادها الخالدة وذكراها المتجددة مع الايام ، وعن اساطين البيان فيها، واصدقاء الرحلة على دروب الادب ، ورفاق الكفاح من اجل القيم الخيرة ، عن وفائهم ووداهم المقيم ، يترحم على من قضى وبدعو بطيب المقام لمن ينتظر .

وبساني بين الفينة والفينة عن ادواحهم الحلى بالعطاء وآخر عناقيد نتاجهم ، فاجيبه بكلمات مقتضبة لاحافظ على لحظات التدفق المبدعة من سجل ذاكرته الحافظة، واني ماأحسست بفضيلة الصمت والاستماع كما احسستها معه .

وبرشاقة فراشة وبيعية كان يتنقل بي من روض الى روض كنحلة حبلى بشهد الورود ، يقطر هنا دمعة شهد من هذا الروض ومن ذاك يصفي قطرة سكر ، بالفة عجيبة وبيان فذ ورقة متناهية ، تنسيك اشواق الرحلة وعطرها المتضوع لتتعريش مدارج المعاني الساحرة وتتسلق شلالات البوح المتدفقة من غرغرة الذكريات .

وتستمر رحلتي القمرية مع الاديب ساعة ونيفا من عمر الزمن ، والدهور بحساب الادب ، وتتجلى دروب وتتوضح آفاق وتنفتح بوابات ما كان بالامكان بلوغها بغير شق النفس .

واتفحص محدثي للمرة الاولى لتصافح عيني وجها مضيئا مشرقا جلته السنون وتركت عليه القا من نور حقيقة الحياة تسبر اعماق النفوس وتجتلي خباياها. وعينين هرب النور من يسراها ، فاستعاض عنه بنور البصيرة . ويمنى يشف الضوء فيها اكثر من شفافية زجاج النظارة التي تستريح عليها . وانفا دقيقا شامخا فيه من الشم والكبرياء الوادعة كما في شوامخ الجبال من ثلوج نقية تتحدى الزمن بإباء .

وفما دقيق القسمات كانتفتاح الزهرة ، تتدفق منه عصارة التجربة وخلاصة الحياة واختمار الحكمة كما تتدفق شلالات الضوء من شرفات القمر .

وتنحدر عيني الى مكتبه حيث تنام اطنان من المقالات والقصص والقصائد ، وقد ذبحها الشوق للامسة انامله ، وبحت حروفها نداء لضوء عينيه ، وعجبت كيف لا يثوي المكتب تحت اثقال اشواقها ، وهمهمات الوجد بين ثناياها .

وحانت مني التفاتة الى خلفية المكتب ، وعلى الجدار بمستوى النظر بالضبط اذا كان الانسان منتصبا اذ يعانق الجدار صورة غابرة للاديب تعود الى ايام الشباب الخوالي منذ نصف قرن ونيف من الزمن .. تسيل العذوبة من قسماتها ، ويورق خشب الاطار من فوتها ، وتضحك نوافير ماء الشباب وحيويته من مفاصلها ، وتنمو اضاميم الورد والعرائش في زواياها، ويشرق خيال ابتسامة خفاقة كاجنحة الفراشات الربيعية اجتثها رحلة الضوء على خيوط الشمس في مدارج نيسان ، فتركت على الشفتين قطرتين من العسل

والى يسار الجالس امام الاديب وبمستوى النظر قبالته صورة اخرى يستند الجدار كما خيل الي الى تصميم زواياها تمثل اصيل عمر الاديب ـ امدَّ الله في عمره ـ وقد رسم الثلج على فوديها هالة من الهيبة والوقار ، واندحر الليل عن نهار الجبين الى الوراء ليترك قبلة عريضة للصبح الوضيء ، وبدت عليها سمات من الترفع الطاهر والعفاف البكر ، ممزوجين بقناعة لا تفنى ورضاء راسخ كالشاهقات ، يتملاها الناظر فلا يمل ، ويعب فلا يرتوي، ويسافر عبر مواسمها الواعدة الى شواطىء الخير والعطاء التي لا تبخل ، ويجد فيها المزيد .

وحين انحدرت ببصري قليلا ، وقعت على اكداس مكدسة من الكتب يعانق بعضها بعضا بغير نفرة، تنام في الخزائن وعلى الرفوف بهدوء يتناسب مع جلال المكان. ويجاورها اعداد ضخمة من مجلة الاديب قدر لي ان اتلقى منها عددين، فبراير ١٩٧٠ ويناير١٩٧٨ .. وعلى ظهر طاولة فسيحة، غصت احشاؤها بنفائس المؤلفات،

تقوم مجموعات من كليشات الزنكوغراف مرتبة بدقة ومبوبة باتقان .

ثم بعد ذلك انى استدرت صافحتك الكتب من كل حدب وصوب ، غير فراغ واحد لنافذة طويلة يتدفق الضوء عبر زجاج بعضها وورق (النايلو) الصقيل الذي يستر بعضها الآخر وقد استعيض به عن الزجاج المتحطم منها بفعل فجيعة بيروت الدامية التي تسكن خواطرنا وتستقر في نفوسنا مصدرا للقلق المضض والوجع السخين

ـ واقدم الهدية اليه ، فيفض غلافها ويوزع اعدادها على مواضع مرسومة معلومة بعناية واتقان .

ـ ثم يسألني عن آخر ما كتب ، وقبل ان اجيب وبذاكرة خارقة تدعو للعجب والتقدير ، يقول : قرأت ـ على ما اظن ـ في عدد ديسمبر كانون اول ١٩٧٧ من مجلة الثقافة الدمشقية مقالا لكم بعنوان « بين النقد والحقد ضاعت اقدار الرجال » . واسقط في يدي .. وحرمني من فرصة التعلق وضيع علي لحظة ادعاء، ولم ينقذني من حيرتي غير حقيبتي (البريزدانت) افتحها واقدم له مقالا كنت قد اعددته من قبل بعنوان (الطبيعة والغزل في شعر البحتري) . فيتصفح المقال ويثني على وضوح الخط وحروفه الكبيرة التي تتناسب وتسرب النور من صفاء عينيه ، ويطري لون الحبر الاسود الذي يوافق رؤية بصره الحسير . ويطلب مني قراءة المقال بسرعة . فاستنفر كل مواهبي للقراءة ، ولكنني رحت أتلجج فيها ، كيف لا وانا احس اني امام خمسة عقود من الادب من اخصب عقود الزمان ، وهو فارسها في كوكبة من فرسان الادب واللسان. ثم يتناولها ، ويضع عليها بعض الرموز والاشارات التي تحدد حجم حروف الطباعة ، شعرا ونثرا الى غير ذلك من فن الطباعة ، وعلى طرف الورقة الاخيرة منها يحصي عدد كلمات السطور ، ثم عدد السطور ويعلن انها تستغرق ستة اعمدة أي ثلاث صفحات من مجلة الاديب مع متسع لصورة شخصية .

وهنا اطلع على السر الذي يزيد من فضائل الاديب وهو انه المشرف الوحيد على اعداد واخراج مجلة الاديب الرفيعة بكل مراحلها ، من ساعة ورود الانتاج الادبي حتى خروجها من بين يديه رافلة بحللها الرصينة ليس ذلك فحسب بل حتى وصولها الى القراء ، معنونة بخطه النميق .

ـ ويسألني بعد ذلك عن مضيفي الاستاذ الشاعر نزار قباني ، وعن كتابي « رحلة شوق مع نزار قباني » الذي تواجدت في بيروت بغرض طباعته ، وعن مدى اطلاع الاستاذ نزار على عدد مجلة الاديب يناير ١٩٧٨ وصدر غلافها المزين بكلمة من اقواله، وعن مقال الزميلة سكينة الشهابي عن الشاعر نزار وتجديد علاقته بالامة العربية بعد تشرين .. فاذكر له اطلاع الاستاذ نزار على ذلك ، وانقل له شكر الشاعر وامتنانه للاديب وصاحبها

ثم يبدأ الحديث عن شعر نزار ومراحله الفنية وعن اللغة الشعرية الخلابة التي يستعملها ، والصور التي يفتن في ابداعها ، وهنا كان الدور في الحديث لي ورحت ابسط له المكونات الفاعلة لهذه اللغة العذبة التي يكتب بها شاعرنا نزار وعن اثر التجارب اللغوية الاخرى من فرنسية وانكليزية واسبانية في اغناء ابجدية نزار وامداده بالصور التعبيرية الرائعة ، وعن تحول اللغة القبانية من مرحلة السراميك والنغم بعد مرحلة الاستقرار ١٩٦٦ الى لغة حارة ساخنة متفجرة تتم بالتقنية والاختزال ، ثم الاتجاه الجديد الرائع للكتابة النثرية ، وجمال هذا النثر القباني حتى يكاد ان يبز شعره .

واطلع الاديب على منهج البحث في هذا الكتاب فياخذ على التطويل وضخامة الصفحات، وبود لو يكون مختصرا اكثر من ذلك بكثير ليكون بالوسع اقتناءه بسهولة ويسر ، واقره على ذلك .

واخيرا ، وليس آخرا اجمع اطراف الحديث والمم مزق الذكريات ، واستاذن الاديب بالرحيل ، بين رنات الوداع وقوافل التحايا والاشواق وظمأ من الذكريات الى دمشق الفيحاء والصحب والاحباب في كنفها ، وحتى الباب الخارجي للمعهد الغريق بالذكريات والطيب وانا انعم بوداع الاديب العابق باللطف والكياسة، واخب باعطر الذكرى واسعد الاوقات ، اصافح يدا سخية تمنيت الدهر كله ان ابقى في مصافحتها .

منحها الله الصحة والعافية ودوام البقاء ، كما منحها الخلود .

وسلام عليها يوم بنت ، ويوم دعمت البنيان ، ويوم تبقى معطاءة على مر الزمان .

دمشق ـ علي المصري

جواب مختصر

علي قاسم الخش

على الهوى أم عليَّ اللوم والعتب ... فكل حب لـه في أصله سبب
أرى التذكر لا يرجو مفارقتي ... فكيف من ساحة التذكار أنسحب
لي منك قلبك أهواه وبعشقني ... فكيف تهرب مني النافر الرطب
عيناك والحية الرقطاء ويحمها ... كلاهما في حشاه القم والعطب
ان مات حبك عن غدر ومنقصة ... فلن يموت بقلبي العشق والطرب
وسوف أجعل عظمي للهوى حطبا ... حتى يضيء على أكفاني اللهب
ويح الثلاثين ما أبقت وما تركت ... والعمر يجري عجولا مثلما السحب
وكل شيء سأنساه على مضض ... الا خطاياك لي من وقدها غضب
حالي كحالة (عيسى) يوم مصرعه ... فكيف أحوال من خانوا ومن صلبوا
يا ويل نفسي والايام كاشفة ... ما خانني الرأس لكن خانني الذنب
شككت في الناس طراً ما عداك فلم ... يخامر الشك احساسي ولا الريب
حتى تكشفت عن رقطاء ناعمة ... تنقط السم في كأسي وتحتجب
لقد تعلمت فن الحرف في لغتي ... فصرت أبرع من قالوا ومن كتبوا
أصبحت عندك أعمى لا يقاد له ... وكنت عندك لا ترقى لي الشهب
أيام أرعاك رعي العين من رمد ... ثم انقلبت فضاع العون والتعب
نكرت كل جميل من صنائعنا ... ما اهتز عندك احساس ولا عصب
أتنكرين على وعي ومعرفة ... ولو سألت حجار البيت تضطرب
بوّأتك القلب حتى صرت سيدة ... فكنت أول من خانوه وانقلبوا
أرى الجزيرة عن حالي تسائلني ... وكيف حال الذي يبكي وينتحب
مجرح قلبه في كف عاشقه ... معفر واهن الدقات مضطرب
أتيت أسأل والغايات تدفعني ... يطير بي الجانحان : الحزن والنصب
زيفت ، لفقت والاسباب واحدة ... سلي ضميرك يا حواء ما السبب

حول ديوان بشار

موسى الاحمدى نويوات

عهد الاستاذ احمد امين (رحمه الله) الى الاستاذين : محمد رفعت فتح الله (الاستاذ في كلية اللغة العربية بالجامع الازهر) ومحمد شوقي امين (المحرر في مجمع اللغة العربية) بمصر لمراجعة ما وجد من شعر (بشار برد) في المخطوطة الفذة التي تولى تحقيقها وشرحها الاستاذ العلامة السيد (محمد الطاهر ابن عاشور) شيخ جامع الزيتونة الاعظم في تونس .وقد قاما معا بهذه المهمة . فاخرجا الجزء الاول ، والثاني ، وقد وجدا فيهما اغلاطا عروضية كثيرة صححاها ، ونبها الى وجه الصواب فيها . وذلك في الجزء الاول والثاني فقط .

اما الجزء الثالث فقد انفرد بمراجعته الاستاذ محمد شوقي امين دون الاستاذ محمد رفعت فتح الله اذ حال سفره المفاجيء دون مشاركته لزميله في مراجعة الجزء الثالث كما شاركه في الجزاين الاول والثاني .

غير ان الاستاذ محمد شوقي امين لم يتعرض للاغلاط العروضية الواقعة في الجزء الثالث مثلما تعرض لها مع زميله في الجزاين السابقين . فرايت ان اتعرض لوجه الصواب فيها ، وارجع كل قصيدة الى بحرها وعروضها وضربها ، وابين مايدخلها من علل وزحافات.

والتزمت ان آتي بالبيت الاول من القصيدة ، وبالذي يليه اذ لا تتبين عروض القصيدة الا بالبيت الموالي لمطلعها، فقد يكون البيت الاول مصرعا او مقفى.

والاجزاء الثلاثة طبعت في مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م. ودعاني الى كتابة هذا التصويب :

اولا : غيرتي على هذا الفن العربي الاصيل - فن العروض - الذي زهد كثير من لناس في تعليمه ، وقلت رغبتهم في تعاطيه ، وكانه لم يكن فنا ادبيا تدعو اليه الحاجة ، وتراثا عربيا يرثه الاحفاد عن الاجداد . حتى صار كثير من شعراء لا يعبأون بما يقع في قصائدهم من اخطاء عروضية ، وعيوب قوافية .

(وما درى اولئك الشعراء ان لزوم القوانين العروضية ليست الا صورة من احساس الشاعر بالنظام ، ودليلا على احترامه للفن وثقته بنفسه (والشاعر الذي يجهل قواعد الفن - فن العروض طبعا - انما يفتقد جزءا مهما من عدة الشاعر (كما قالت نازك الملائكة) : لان الوزن هو الروح التي تكهرب المادة الادبية وتصيرها شعرا ، فلا شعر من دونه مهما حشد الشاعر من صور وعواطف ، بل ان الصور والعواطف لاتصبح شعرية بالمعنى الحق . الا اذا لمستها اصابع الموسيقى ، ونبض في عروقها الوزن .

والشعر غير الموزون يعد خاليا من الموسيقى والايقاع ، ولذلك ترفضه الاذن الشعرية الحساسة كما يرفضه العروضي الذي احسن فن العروض) .

وثانيا : انها اخطاء من صنف لا يمكن السكوت عنه حمل الشاعر بشار تبعتها وهو بريء منها ، ولو لم يكن اسير رمسه ، لدافع عن نفسه .

ثالثا : انها من عالم له شهرته العلمية ، ومكانته الادبية من الصعب ان يعتقد من ليس له معرفة بالفن خلاف ما يكتب وعكس ما يقرر .

واذا جاز للاستاذ محمد رفعت فتح الله ان يصوب ما في الجزءين : الاول والثاني من اخطاء عروضية ، فلم لا يجوز لغيره ان يصوب ما في الجزء الثالث من اغلاط ، مادام للعروض اسس متينة ، وقواعد ثابتة ، يعتمد عليها الحاكم في حكمه . وميزان تعادلت كفتاه، وضبطت مثاقيله، محكم الصنع. صادق المخبر ، لا يداري ، ولا يماري ، وما دام رائد الكاتب ارشاد القارىء ، ولفت نظره الى وجه الصواب في بحر القصيدة وضربها ؟ قال بشار :

لم يدر ما قلت (مسعود) فضيعه
يا سوأتا من طلابي جود (مسعود)
وقائل كيف (مسعود) فقلت له
هو الجواد ولكن فاسق الجود ص١

قال الشارح : والابيات من بحر البسيط ، عروضها مخبونة ، وضربها كذلك .

قلت : اما عروضها فنعم ، واما ضربها فمقطوع لا مخبون .

قال بشار :

ليس النعيم وان كانزن به
الا نعيم (سهيل) ثم (حماد) ص٢

قال الشارح : والابيات من بحر البسيط ، عروضها مخبونة ، وضربها كذلك .

قلت : بل ضربها مقطوع لا مخبون .

قال بشار :

غيب جيرانه بذى حمد
عن ليل من لم ينم ولم يكد ص٣

قال الشارح : والقصيدة من بحر المجتث ، وقد استعمله تاما على وجه الشذوذ كما تقدم في القصيدة في ورقة ٢١ من الجزء الاول (١) وفي كثير من ابياتها والجمع بين القبض والكف ، والجمع بين الطي والكف والقبض ، وكل ذلك شاذ) .

قلت : والقصيدة من بحر المنسرح ، وليست من بحر المجتث كما قال الشارح . ولذلك دخل الطي في بعض اجزائها ، ولو كانت من المجتث لمادخلها الطي : لان الطي لا يدخل المجتث اصلا ، والكف لا يدخل على المنسرح ، كما ان القبض لا يدخل على المجتث ، ولا على المنسرح .

فالقصيدة خالية تماما من القبض ، والكف : لان القبض لا يدخل الا على تفعيلتين فقط هما : فعولن، ومفاعيلن . ففعولن تكون في بحرين : الطويل، والمتقارب ومفاعيلن تكون في ثلاثة ابحر : الطويل ، الهزج ، والمضارع ليس غير .

اذن فبشار لم يجمع بين القبض والكف : لانهما غير موجودين البتة في القصيدة ، ولا بين الطي والكف والقبض لعدم وجود الاخيرين فيها ايضا .

قال بشار :

الم يان ان تسلي مودة مهددا
فتخلف حلما او تصيب فترقدا
وما ذكرك اللائي مضين براجع
عليك نوى الجيران حتى تبددا

قال الشارح : وهي من بحر الطويل عروضها وضربها محذوفان .

قلت : بل عروضها وضربها مقبوضان ، لا محذوفان .

قال بشار :

امن الحوادث والهوى المعتاد
رقد الخلى وما احس رقادي ص٦٤

واجيب قائل كيف انت (بصالح)
حتى مللت وملني عوادي

قال الشارح والابيات من بحر الكامل ، وعروضها وضربها مقطوعان .

قلت : والابيات من بحر الكامل، عروضها صحيحة وضربها مقطوع .

قال بشار :

اذكرت نفسي عشية الاحد
من زائر صادني ولم يصد
احور عبى لنا حبائله
بالحسن لا بالرقى ولا العقد

قال الشارح : والقصيدة من بحر البسيط ، وعروضها وضربها كلاهما مخبول مكشوف ، وفيها زحاف الطي .

قلت : والقصيدة من بحر المنسرح ، وعروضها وضربها كلاهما مطوي .

قال بشار :

اشاقك مغنى منـزل متأبـد
وفحوى حديث الماكر المتعهد ص٧٠
وشـام بحوضى ما يريـم كـأنه
حقائق وشم او وشوم على يد

قال الشارح : وهي من بحر الطويل ، عروضهـا وضربها مقبوضان ، وفيها زحاف الطي في فعولن .

قلت : ... وفيها زحاف القبض في فعولن : لان الطي لا يدخل على فعولن ، وانما يدخل على مستفعلن ، ومفعولات ليس غير . والدليل على ان الطي لا يدخل على فعولن ، هو ان الطي يحذف الحرف الرابع من الجزء اذا كان ساكنا ، وكان ثاني سبب .

وفي الخزرجية :

ورابعه لـم يبـل الا بطيـه
اي الحذف ان يسكن والا فقد نجا

والحرف الرابع من فعولن هو اللام وهو متحرك، واول سبب ايضـا .

قـال بشـار :

وضعت قناعي وارتبت نجـادي
وايقظت دور الشعر عين قتـادي ص٨٥
ولما رايت القـوم ملـوا سـلامة
وقادهـم الزنجـي شر مقـادي

قال الشارح : والقصيدة من بحر الطويـل ، عروضها محذوفة ، وضربها محذوف .

قلت : والقصيدة من بحر الطويل ، عروضهـا مقبوضة ، وضربها محذوف . وليس للطويل الا عروض واحدة مقبوضة على سبيل الوجوب . والقبض زحاف اجرى مجري العلة في اللزوم في عروض هذا البحر : كالخبن في عروض البسيط الاولى وضربهـا الاول ، والطي في ضرب المنسرح الاول . فان هذه زحافـات اجريت مجرى العلة في اللزوم .

قـال بشـار :

لا يياس فقير من غني ابـدا
بعد الذي نال يعقوب بن داوود ص٩٣

قال الشارح : والابيات من بحـر البسـيط ، عروضها وضربها مخبونان .

قلت : والابيات من بحر البسيط ، عروضهـا مخبونة ، وضربها مقطوع .

قـال بشـار :

ياليلتي لم انم شوقا وتسـهـادا
حتى رايت بياض الصبح قد عادا ص٩٨
كبرت لما رايت الصبح منبلجـا
يحد وتوالى جون بان او كـادا

قال الشارح : وهذه الابيات من بحر البسيط ، وعروضها او ضربها مخبونان .

قلت : وهذه الابيات من بحر البسيط ، عروضها مخبونة ، وضربها مقطوع .

قـال بشـار :

عجـل ابـا محمـد
حاجـة غـاد مـن غـد ص١٠٣
ولا تكـن مثـل الـرا
ب اذ غـدا لم يوجـد
فالجـود مـن كـرم الفتى
والمطل داء في اليـد

قال الشارح : هذه الابيات من مجزوء الرجز .

قلت : وهذه الابيات من مجزوء الكامل ، اي من ضرب الكامل الثامن ، لا من مجزوء الرجز كما قـال الشـارح .

وبيان ذلك ان مجزوء الكامل كثيرا ما يشتبه بمجزوء الرجز ، وذلك في صورة ما اذا سلمت اجزاء الرجز من الخبن ، واضمرت جميع اجزاء الكامـل . او خبنت اجزاء الرجز ، ووقصت اجزاء الكامل . وفي هـذه الحال ننظر : فان وجدنا تفعيلة من تفاعيل الكامـل حكمنا به للكامل . والا حكمنا به للرجز .

فالبيتان الا ولان يحتمل ان يكونا من الرجـز دخلهما الخبن والطي (٢) ولكن البيت الثالث فيـه تفعيلة تدل على ان الابيات من مجزوء الكامل ، لا من مجزوء الرجز : لوجود (متفاعلن) فيه . اذ تفاعيله هي:

فلجود من ـ كرملفتى ولمطل دا ـ ان فلبدى
مستفعلن ـ متفاعلن مستفعلن ـ مستعلن

دخل الاضمار في التفعيلة الاولى والثالثة والرابعة وسلمت التفعيلة الثانية ، فثبت ان الابيات من مجزوء الكامل ، لوجود متفاعلن فيها . والى هذا الاشـتباه يشير ناصيف اليازجي في مجمع البحرين في المقامة(١٢) الازهرية بقوله : (واي بحر يسبيح اجزاء صاحبه ولا

حرج عليه ، فان اختلس منه صاحبه جزءا سـيق برمته اليه ص ٩٢) . وقال ابو العلاء المعري : (... فان المرء السيد ربما اذلته النكبات حتى يحسبه اللبيب احد ضعاف العامة ، كالوزن الكامـل اذ اضمر - أو وقص وخزل ظن انه من الرجز) .

وهذا الغلط الذي وقع فيه شارحنا وقع فيـه قبله الدسوقي في حاشيته على شرح المختصر لسعد الدين التفتزاني على متن التلخيص عند قـول الشارح في تعريف التشريع (التوشيح) وقد يكون البناء على اكثر من قافيتين ، وهو قليل متكلف) قال الدسوقي ما نصه : (قوله وهو قليل) من ذلك قول الحريري :

جودي على المستهتر الصب الجوي
وتعطفـي بوصالـه وترحمـي
ذا المبتلي المتفكر القلب الشـجي
ثم اكشفي عن حاله لا تظلمي

فهذه الابيات مبنية على قواف متعددة الاولى : رائية في المستهتر ، والمتفكر فيقال من منهوك الرجز :

جودي على المستهتر ذا المبتلي المتفكر

قلت : صوابه من ضرب الكامل الثامن : لان فيه جزءا على وزن (متفاعلن) وهو (متفكري) .

(والثانية يائية في الصب ، والقلب ، فيقال من مشطور الرجز الاحذ :

جودي على المستهتر الصب ذا المبتلي المتفكر القلب

قلت : صوابه من ضرب الكامل الخامس ـ وفيه التصريع ـ لوجود (متفاعلن) فيه ، ولان الحذذ يكون في الكامل لا في الرجز وفي الخزرجية :

وحذفك مجموعا دعوا حذ كامـلْ
والا فصلم والـربـع بـه ارتدى

(والثالثة يائية في الجوي ،والشجي فيقال من مشطـور الرجـز :

جودي على المستهتر الصب الجوي
ذا المبتلـي المتفكر القلب الشـجي)

قلت : صوابه من ضرب الكامل لوجود (متفاعلن) فيه ايضا ، وفيه التقفية . (والرابعة فائية في تعطفي واكشفي . فيقال من مجزوء الرجز :

جـودي عـلى المستهتر الـ
صـب الجـوي وتعطفـي
ذا المبتلـي المتفكـر الـ
قلب الشجي ثم اكشفي)

قلت : صوابه من مجزوء الكامل ـ اردت ضربه الثامن ـ لوجود (متفاعلن) فيه وهو (وتعططفي) و (متفككري) وزنه (متفاعلن) .

(رجوع) قلت وقد استعمل بشار في هذه الابيات الوقص وهو قبيح في الكامل ، والخزل وهو اشد قبحا من الوقص . واذا دخل الخزل على (متفاعلن) صيرها (مفتعلـن) .

قـال بشـار :

للـه درك يا مهـدي من مالـك
لولا اصطناعك يعقوب بن داوود ص١٠٤
اما النهار فتخمات وقرقـرة
والليل ياوي الى المزمار والعود

قال الشارح : وهي من بحر البسيط، وعروضها وضربها مخبونان .

قلت : وهي من بحر البسيط ، عروضها مخبونة وضربهـا مقطوع .

قـال بشـار :

اباهل اني للحروب عـواد
وان ردائي منصل ونجـاد ص١٠٤
اباهل هزوالي فتى غير مدخل
فان سماء الباهلي جمـاد

قال الشارح : والابيات من بحر الكامل،وعروضها وضربها مقبوضان .

قلت : والابيات من بحر الطويـل ، عروضهـا مقبوضة صحيحة وضربها محذوف .

قـال بشـار :

الناس اثنان في زمانـك ذا
لو تبتغي غير ذين لم تجـد ص١١١
هذا بخيل وعنده جـدة
وذا جـواد بغـير ذات يـد

قال الشارح : هذا ان البيتان من بحر المنسرح ، عروضها صحيحة ، وضربها مطوي .

قلت : هذان البيتان من بحر المنسرح ، عروضهـا صحيحة وضربها مطوي .

قلت هذان البيتان من بحر المنـرح عروضهمـا وضربهما مطويان .

قـال بشـار :

اظن سعيدا كانا لصديقـه
كد احس عبس او كبكر ثمود ص١١٢

قال الشارح : والابيات من بحر الطويل عروضها وضربها مقبوضان .

قلت : والابيات من بحر الطويل ، عروضهـا مقبوضة وضربها محذوف .

قـال بشـار :

ظل اليـار على العباس ممدود
وقلبـه ابدا بالبخـل معقود ص١٢٧

ان الكريم لتخفى عنك عسرته
حتى تراه غنيا وهو مجهـود

قال الشارح : وهذه الابيات من بحر البسيط ، وعروضها وضربها مخبونان .

قلت : وهذه الابيات من بحر البسيط ، عروضها مخبونة ، وضربها مقطوع .

قـال بشـار :

نبابك خلف الطاعنين وسـاد
ومالـك الا راحتيك عمـاد
لخديك من كفيك في كل ليلـة
الى ان ترى وجه الصباح وساد ص١٢٥

قال الشارح : عروضها محذوفـة ، وضربهـا مقبـوض .

قلت : عروضها مقبوضة ، وضربها محذوف .

قـال بشـار :

يارحمة الله حلي في منازلنـا
وجاورينا فدتك النفس من جار ص١٦١

قال الشارح : وهذه القصيدة من بحر البسيط ، وعروضها وضربها مخبونان .

قلت : وهذه القصيدة من بحر البسيط ، عروضها مخبونة وضربها مقطوع .

قـال بشـار :

ياطيـر انـا في غـد طـير
روحـي فـان البـين تبكـير ص١٩٢

قد اطلب الحاجـة من مشرف
مـن دونهـا زار وتنفـير

قال الشارح : ولم يأت في عروض البيت الاول بحرف الردف ، كما اتى بـه في القافية لانه لم يقصد التصريع .

قلت : لقد اتى في عروض البيت الاول بحـرف الردف ، كما اتى به في الضرب ، وهو الياء في طير : لانه قصد التصريع . ولذلك ادخل الاضمار في العروض ليلحقها بالضرب . والا لما جاز دخول الاضمار فيها .

وعاية ما يقال في البيت : ان في عروضه عيبا من عيوب القافية وهو ما يسمونه بسناد الحذو .

والحذو : هو حركة الحرف الذي قبل الردف ، ضمة كانت ، او فتحة ، او كسرة . فاذا كان الردف واوا لزم ان تكون حركة الحرف الذي قبله ضمة ، واذا كان الفا لزم ان تكون فتحة ، واذا كان ياء لزم ان تكون كسرة . فاذا اختلفت الحركتان فتحا وكسرا في البيت المصرع مثلا ـ كفتحة الطاء من طير ، وكسرة الكاف من تبكير كان هذا الاختلاف عيبا من عيـوب القافية يسمى (سناد الحذو) .

والتصريع كما عرفه العروضيون هو : جعـل العروض كالضرب وزنا ورويا مع اخراجها عن حكمهـا الى حكمه . والعروض في بيت بشار قد جعلت كالضرب رويا وهو الراء ، وقد اخرجت عن حكمها وهو اللامة من الاضمار الى حكم الضرب حيث اضمرت مثلـه . فاتفقت العروض والضرب رويا، ووزنا وهذا مايسمونه بالتصريع .

والردف في العروض موجود ، وهو الياء مـن (طير) مثل الياء من تبكير .

وحيث ان العروض في البيت المصرع خاضعة لما يحكم به على ضربها من جواز ومنع عد عيب العروض عيب الضرب وقد دخل في العروض عيب من عيـوب القافية ، مما يدخل على الضرب في حال الضـرورة اقصد (سناد الحذو) وهو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الردف كالفتحة مع الكسرة في قول بشار المتقدم ، وكقول بعضهم :

لقد السج الخباء على جـوار
كـان عيونهـن عيـون عـين

كأنـي بـين خافيتـي عقـاب
يريد حمامـة في يـوم غـين

فقد اختلف البيتان فيما قبل الردف . فالعين المهملة مكسورة في الاول ، والغين المعجمة مفتوحة في الثانـي . والعروضيـون استشهدوا بهذيـن البيتين على اختلاف حركة ما قبـل الردف بالفتـح والكسـر ، ولـم يستشهدوا بهمـا علـى وجـود الردف في البيت الاول ، وعدم وجوده في الثاني . وانما استشهدوا على ذلك بقول حسان (ض) :

اذا كنت في حاجة مرسـلا
فارسـل حكيمـا ولا توصـه
وان بـاب امر عليك التـوى
فشـاور حكيمـا ولا تعصه

فالبيت الاول مردوف، والثاني خال من الردف. والحرف الذي قبل الروي (الصاد) في البيت الثاني وهو العين ليس من حروف اللين ، ولا يصح ان يكون، ردفا ، ولو ضممناه . بخلاف الياء من (طير) فانهـا حرف من حروف اللين . ولو كسرناها لـزال العيب المسمى بـ (سناد الحذو) .

قـال بشـار :

اعيـد ياذات الهوى النـزر
ثقلت مودتكم على ظهـر ص٢٢٤
لو كنت ياعبـاد صادقـة
بالحب قارب امركم امـري

قال الشارح : والقصيـدة من بحـر الكامـل . عروضها حذاء ، وضربها كذلك : وفي عروضه وضربه الاضمـار .

قلت : والقصيدة من بحر الكامل . عروضهـا حذاء ، وضربها احذ مضمر . وليـت العروض بمضمر وما جاء في عروض المطلع فللتصريع ليس غير .

قـال بشـار :

مهلا هجائي يابن شخص التجار ص٢٤١
ما نفر يدعى لهـم بـأحـرار

قال الشارح : من بحر الرجز ، وعروضه وضربه مقطوعـان .

قلت : بل من مشطور السريع ، عروضه موقوفة مشطورة هي الضرب ، تفاعيله اي الضرب الخـامس للبريـع .

مستفعلن مستفعلن مفعولان

قـال بشـار .

حبـي بما قـد لقيت يا عمر
لم ياتني مـن حبيبتي خبـر ص١٦٤

قال الشارح : والقصيدة من بحـر السريـع . وعروضها وضربها مخبولة مكشوفة .

قلت : والقصيدة من بحر المنسرح . وعروضهـا وضربها مطويان .

قـال بشـار :

تجاللت عن فهر وعن جارتي فهر
وودعت نعمى بالـلام وبالهجر ص٢٧٢
وقالت سليمى فيك عنا تثاقـل
محلك نـاء والزيارة عـن غفـر

قال الشارح : وهي من بحر الطويل ، عروضهـا وضربها مقبوضان .

قلت : وهي من بحر الطويل، عروضها مقبوضة. وضربها صحيح .

قـال بشـار :

الله اكبر والصغير صغـير
وتناول العلج الكرام كبـير ص٢٩٥
ما بال حماد بن نهـا يشـتهي
موتـي كـأني باسته باسـور

قال الشارح : والقصيدة من بحـر الكامـل ، وعروضها وضربها مقطوعان .

قلت : والقصيـدة مـن بحـر الكامـل . عروضها صحيحة ، وضربها مقطوع .

موسم الاحمدي نويوات
الجمهورية الجزائرية

---

(١) ـ قال الشارح في الجزء الاول صحيفة ٦٢ (لا صحيفة ٢١ كما قال) ما نصه : (... فقصيدة بشار التي اولها :
تحمل الظاعنون فادلجوا والقلب منى الغداة مختلج
من بحر المنسرح ، والمعروف في المنسرح أن تكون عروضـه صحيحة وضربها مطويا :
مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مفتعلن
وبشار استعملها بعروض مطوية ، وضرب مطوي ، فعروضهـا مفتعلن ، وضربها مفتعلن في جميع ابياتها ، ولو اقتصر على ذلك في

البيت الاول لافتقر ، لان القصيدة اذا وقع فيها التصريع : وهو مجيء مصرعها الاول مقفى كالمصراع الثاني يكون المصراع الاول على وزن الثاني عروضا وضربا ، ولكنه عدم ذلك في جميع القصيدة ، وقد تكرر ذلك منه في قصائده التي من بحر المنسرح تقوله :

لا فجع الاكما ففجت بسه من فارس كان دوننا حدبا

وكذلك قصيدته التي اولها :

يا مالك الناس في مسيرهم وفي المقام الخطير من رهبه

فهي من بحر المجتث ، وقد استعمله تاما كما رسمه الخليل في الدائرة الرابعة :

مستفعلن فاعلاتن فاعسلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن

غير انه لم يسمع عن العرب تاما ، وانما سمع مجزوءا :

مستفعلن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

وشذا استعماله عند المولدين تاما ، من ذلك قول بعضهم :

ياذا الذي في الحب يلحى مستهاما
لا تلحنسي ان مثلسي لسن يلامسا

والتزم بشار في قصيدته هذه زحافين ليخفف ثقل الميزان هما : زحاف الكف ، في فاعلاتن لاول ، فصيرة فاعلات ، والقبض في فاعلاتن الثاني فصيرة فاعلتن . انتهى كلام الشارح .

قلت : قول الشارح : (... فقصيدة بشار التي اولها : تحمل الظاعنون فادلجوا البيت : من بحر المنسرح ، والمعروف في المنسرح ان تكون عروضه صحيحة ، وضربها مطويا ، وبشار استعملها بعروض مطوية ، وضرب مطوي) . قلت : ان بشار اجرى فيه على ما رسمه العروضيون لعروض هذا البحر ، ولكنها لم تستعمل هذه العروض الا مطوية ، سواء كان ذلك في الشعر الجاهلي ، ام في الشعر الاسلامي ، فبشار ان اتى بهذه العروض مطوية فانما تبع في ذلك من سبقه ، ومن عاصروه ، ومن أتى بعده .

جاء في صحيفة ٢٠٢ من كتابنا المتوسط الكافي ، المطبوع بدار العلم للملايين الطبعة الثانية ، عند كلا منا على هذا البحر ما نصه : (... هكذا يقولون : انها صحيحة ، ولكنك اذا تتبعت اشعار العرب فلا تجد هذه العروض الا مطوية ـ اللهم الا نادرا ـ ولم نعثر لها على شاهد في المراجع التي طالعناها ما عدا ما سأقوه لها شاهدا في كتب العروض . فلم يجعلوها مطوية بدلا من صحيحة نظـرا للاستعمال اذ لم تجيء الا كذلك ؟)

وقول الشارح : (... وكذلك قصيدته التي اولها :

يامالك الناس في مسيرهم وفلقا ـ ملخطير ـ من رهبه

مستفعلن ـ مفعلات ـ مفاعلن ـ مفعلات ـ مفتعلن

فهذه التفاعيل هي تفاعيل المنسرح نفسه . وقد دخل الطي في (مفعولات) فصيرها (مفعلات) ، وفي (مستفعلن) فصيرها (مفتعلن) . والخبن في (مستفعلن) فصيرها (مفاعلن) . والطي الخبن من الزحافات التي تدخل هذا البحر . اما تفاعيل البحر المجتث فهي :

مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن

غير انه لا يستعمل الا مجزوءا هكذا :

مستفع لن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن

والشارح يقول: (ان القصيدة من المجتث وقد استعمله الشاعر تامـا) .

قلت : وهذا لا يصح ، والدليل على عدم صحته هو أن فاعلاتن مركب من سببين خفيفين بينهما وتد مجموع ، ولا يدخل على هذه التفعيلة الا ثلاث زحافات . وهي : الخبن فينقلها الى (فعلاتن) والكف فينقلها الى (فاعلات) والشكل فينقلها الى (فعلات) .

والشارح يقول : (ان فاعلاتن في اخر الصدر دخلها القبض فحذف الالف وهو الحرف الخامس من (فاعلاتن) فصارت التفعيلة بعد دخول القبض عليها (فاعلتن) وهذا غير صحيح .

أولا : لان القبض زحاف لا يدخل الا على فعولن ، ومفاعيلن كما تقدم .

وثانيا : ان القبض يحذف الحرف الخامس اذا كان ثاني سبب كالنون من فعولن ، والياء من مفاعيلن . والحرف الخامس من (فاعلاتن) ـ وهو الالف ـ ثالث وتد مجموع : والزحاف لا يدخل على الاوتاد اصلا ، وانما يدخل على ثواني الاسباب ليس غير . اذن فالقصيدة ليست من المجتث الكامل الاجزاء .

وقول الشارح : وشذ استعماله عند المولدين تاما من ذلـك قول بعضهم :

يا ذا الذي في الحب يلحى مستهاما لا تلحنى ان مثلي لن يلاما

قلت : ليس هذا بيت حتى يصح الاستدلال به : لانه ملفق من بحرين مختلفين : صدره من ضرب الكامل الاول اضمرت اجزاؤه، ورفل آخره شذوذا : لان الترفيل خاص بمجزوئه او هو من ضرب الرجز الاول ورفل اخره شذوذا ايضا : لان الترفيل لا يكون في الرجز . وعجزه من المجتث التام ، والمجتث لا يستعمل تاما . واليك تقطيعه ليظهر لك ان صدره من بحر ، وعجزه من آخر :

ياذا للذي ـ فلحبيبل ـ حي مستهاما
مستفعلن ـ مستفعلن ـ مستفعلاتن
لا تلحني ـ ان نمثلي ـ لن يلامـا
مستفع لن ـ فاعلاتن ـ فاعلاتـن

فالتفاعيل الاولى في الصدر من اول الكامل او الرجز المرفل ، والتفاعيل الثانية في العجز من المجتث التم . والشارح استشهد به على انه بيت من المجتث ، وقد ثبت انه ليس ببيت . ولا يسمى البيت بيتا الا اذا كان من وزن واحد ، وله عروض وضرب ـ وهذا في غير المشطور طبعا ـ ولم يبق الا عجز البيت ، وهو لا ينهض حجة في الاستدلال . هذا من جهة ، ومن جهة ان قائل هذا الشطر مجهول، فمن الجائز انه ممن لا يستدل بشعره ، او يكون ذلك من الموشحات، والاوزان الخارجة عن الاوزان العروضية .

(٢) ـ اذا دخل الاضمار في (متفاعلن) صارت التفعيلة (مستفعلن) ، وهي في هذه الحال مركبة من سببين خفيفين بعدهما وتد مجموع ، وقد صارت مماثلة لـ (مستفعلن) في الرجز ، ودخول الاضمار والطي على (متفاعلن) ينقلان الجزء من متفاعلن الى (مفتعلن) . واجتماع الاضمار والطي هو ما يسمى بالخزل . وقد يدخل الطي في (متفاعلن) ولو لم يدخل الاضمار : لان الحرف الرابع من (متفاعلن) ثاني سبب ساكن . ولدخول لطي على الكامل أو جيوا فيه المراقبة ، وهي دائرة بين تاء (متفاعلن) وألفها . فاذا دخل الاضمار امتنع دخول الطي ، وبالعكس . واذا دخل الخزل على (متفاعلن) صار (مفتعلن) ايضا ولهذا يقع الاشتباه بين البحرين .

الشيخ عبد القادر المغربي

عبد الكريم دندي

- ١ -

الشيخ عبد القادر المغربي رائد من رواد الحركة الفكرية وداعية من دعاة الاصلاح الديني والاجتماعي واللغوي في الوطن العربي . ولقد ساهم بصورة فعالة في مجال الاعلام والتوجيه والتعليم . وكان دائب الترحال بين الاقطار سعيا وراء الرسالة التي نذر لها نفسه ، مد تشبع بأفكار الشيخ جمال الدين الافغاني والامام محمد عبده عبر جريدة ((العروة الوثقى)) ، وماكانت رسالته سوى تحرير الانسان من الجهل والخنوع ، وان يكون للمسلمين دولة قوية تأخذ بأسباب المدنية والعمران الموصلة الى العزة والاستقلال مع مراعاة تعاليم الاسلام الاساسية .

وقد انخرط الشيخ في النشاط السياسي فاهم في حركة « الجمعية الخيرية » التي قامت في دمشق اواخر عهد الوالي « مدحت باشا » عام ١٨٧٨ م - ١٢٩٥ هـ والتي انضم اليها عددكبير من رجالات العرب ومفكريهم ، وكان الجميع يسعون الى احياء القومية العربية في مواجهة حملة التتريك العثمانية ، وان اختلفت طرائقهم في ذلك بين مؤيد لاستخدام القوة ضد الانفصال كلية عن الجامعة العثمانية الاسلامية . ومرجح لفكرة التجمع القومي العربي ضمن اطار الجامعة مع السعي الى اصلاح الادارة العثمانية بما يكفل تحقيق ذلك ، وكان الشيخ المغربي مع كثيرين غيره على راسهم الشيخ رشيد رضا والامير شكيب ارسلان يرى الراي الثاني ، خوفا من مكائد الاستعمار الاوربي ومخططاته في المنطقة . وشارك المغربي في النضال السياسي ضد الظلم والطغيان وشرع يصرح بالاصلاح الديني والاجتماعي والقومي ، ويطالب جهارا بالاصلاح الديني القائم على الرجوع الى بساطة الدين واصوله الثابتة؛ بعدما اكتنفت المفاهيم الدينية كثير من الخرافات والاوهام ، وينتقد ادارة الحكم العثماني للولايات العربية . ويعرض لاسلوبهم في الحكم القائم على المركزية المطلقة، ومصادرة الحريات مما تسبب في تأخير الشعوب الاسلامية عن غيرها من الشعوب الاخرى . ولقد نظم قصيدة سياسية طويلة يخاطب بها السلطان العثماني عبد الحميد ، وينتقد سياسته الداخلية الرعناء انتقادا شديدا تقول بعض ابياتها :

بلغ أمير المؤمنين نصيحة
تبغي القبول ولا تريد ثوابا
قبر تعمره ببدرة عسجد
وتعيد عمران البلاد خرابا
تكسو الدعي الحلة البيضاء اذ
تكسو الشعوب من السواد ثيابا
تجبي الضرائب من فقير مملق
تفني بها المتملق الخلابا
تقصي الى الاطراف كل محنك
وتبيت تدني النوك والاوشابا
كم من بريء صادق حكمت في
حوبائه المتجسس الكذابا
بل هذه الخصيان كيف تقدمت
بيض الفحول السادة الانجابا
ضيعت ملكك وامتهنت رجاله
فعلام تحوي التاج والالقابا

وكانت القصيدة سببا في اعتقاله ودخوله السجن في بيروت عام ١٩٠٤ م (١٣٢٢ هـ) وبه امضى ستة اشهر حيث خرج في ربيع ١٩٠٥م فارتحل الى مصر ، قاصدا الشيخ محمد عبده وبدعوة منه ، ولكن التقاءه بالشيخ الامام لم يتحقق اذ حالت منية الامام دون ذلك فانصرف الى الكتابة في جريدتي « الطاهر والمؤيد » وداعيا الى الاصلاح في شتى المجالات ، ومن المفيد ان نعرف هنا ان اول مقال كتبه في مصر كان بعنوان « التمثيل العربي » ودبج عشرات المقالات حول المسائل الدينية واللغوية والادبية والسياسية ، آخذا بروح

العصر في كل ما يرى من امور ومسائل ومن اروع مقالاته السياسية مقالته « مصر والسياسة » ثم « مصر والاقطار العربية » اللتان حلل فيهما الاوضاع السياسية داخل مصر وشكلت مقالاته عن اللغة نواة كتابه الاول « الاشتقاق والتعريب » ورغم عودته الى طرابلس سنة ١٩٠٩م بعد اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨م فقد ظل المغربي مواصلا الكتابة في الصحف المصرية ، ونشر في صحف بيروت ودمشق افكاره الاصلاحية في جميع المسائل الاجتماعية المطروحة وخاصة قضية المرأة وتحررها وكانت مشكلة الحجاب والسفور أم المشكلات يومئذ واثار مقاله الداعي الى تعليم المرأة وتحريرها من الحجاب غير الشرعي غضبة عاصفة حملها عليه المحافظون فترة طويلة .

وفي عام ١٩١١م (١٣٢٠هـ) أصدر جريدته « البرهان » لتنحو في الدعوة والارشاد منحى « العروة الوثقى » . وتابع نضاله فيها ، فكانت كتاباته تدور حول ضرورة اصلاح السياسة الداخلية في الدولة العثمانية ورأب صدعها ، وحول الوحدة الاسلامية داخل اطار الخلافة ، تلك الوحدة التي كان يرغب في تكوينها حتى تقف في وجه مطامع اوروبا في الشرق الاسلامي . ولكن الشيخ المغربي اضطر الى توقيف جريدته في ٢٠ آب ١٩١٤م عندما اشتركت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى . وفي عام ١٩١٥ م اشترك مع الامير شكيب ارسلان في تأسيس كلية «صلاح الدين الايوبي » في مدينة القدس لتخريج دعاة للدين الاسلامي ، يجمعون بين الثقافتين العصرية واللغة في فهم ووعي . ومضى يدرس فيها السيرة النبوية وفنون البلاغة والآداب العربية ، وكانت الحكومة العثمانية قد كلفته قبل ذلك في تأسيس كلية اسلامية مماثلة في المدينة المنورة . ولكن حالة الحرب حالت دون ذلك .

وعندما ازمعت الحكومة العثمانية اصدار جريدة الشرق للدعاية في الاقطار الاسلامية سمته مديرا لتحريرها . وبدأ اصدارها بهمة في نيسان ١٩١٦م وقد قطن دمشق ، وتابع كتاباته الادبية واللغوية والاصلاحية على صفحاتها . وظل يدعو المسلمين الى التجديد ونبذ الخرافات والاوهام . وقد احدث مقاله « النهضة الدينية في الامة الاسلامية » دويا في البلاد بين الشيوخ وارباب التقليد ، ولما رحل الاتراك ورزحت بلاد الشام تحت الاحتلال الاوربي اواخر عام ١٩١٨ م لزم الشيخ المغربي داره . وعكف على التاليف والتصنيف . وقد رفض بإباء ماعرض عليه من قبل المحتلين الفرنسيين .

- ٢ -

شغلت اللغة العربية جانبا كبيرا من اهتمام الشيخ المغربي ، فهي هاجسه الدائم حتى حين ينهض الى الاصلاح الاجتماعي والديني ، فقد كان يرى ان اللغة العربية بعد سباتها الطويل يجب ان تتلاءم ومقتضيات العصر ، وان تنقل معارفه الى الناطقين بها ايا كانت مصادر هذه المعارف . ولقد دبج المقالات والبحوث العديدة حول هذه المسالة في صحف دمشق والقاهرة وبيروت . وكان قلمه ولسانه سبيل جهاده الطويل والعنيد لتحقيق ما يصبو اليه ، ويحلم بالوصول اليه. وكانت معاناته التربوية واللغوية منهل افكاره ومجال اختباراته ، فهو يستهدف في نضاله الاصلاحي الجماهير الغفيرة ، ولا من سبيل يصله بها غير اللغة . لذلك اهتم بتيسير اللغة العربية ، وتهذيب كلماتها والسعي الى رفدها عن طريق الاشتقاق والتعريب بالمصطلحات الوافدة من اللغات الاخرى في شتى مجالات المعرفة والصناعة والسياسة والعسكرية ، يتحمل من اجل ذلك اشد العنت من بعض علماء اللغة المتزمتين ، اذ نقدوا منهجة هذا نقدا شديدا وجرحوه ، وخاصة اثناء اقامته في مصر . فكان يرد على الانتقادات كل على حده يحتج في كل رد للغة من منتقديه وفق مايرى ويؤمن . ونشر الرد في جريدة « المؤيد » فكانت هذه الردود خلال اعوام ١٩٠٦ — ١٩٠٩ م نواة كتابه الاول « الاشتقاق والتعريب » وقد اثبت المغربي في كتابه هذا ان الاشتقاق والتعريب هما مصدر اثراء اللغة . وان استعمال الالفاظ المعربة لا يحط من قدر فصاحة الكلام ويحدد المغربي في مقدمة كتابه منهجه في ذلك حيث يقول: « اذا عرض لنا لفظ اعجمي ترجمناه الى لغتنا ، واذا تعذرت ترجمته اشتققناله اسما من لغتنا ، واذا تعذر ذلك استعملنا مكان الاعجمي كلمة عربية مصوغة باحدى طرق المجاز ، وان لم يكن شيء من ذلك نلجأ الى تعريبه اسوة بالمعربات السائدة في لغتنا .. » .

وبعد انهيار الخلافةالعثمانية وزوال البلاد تحت وطأة الاحتلال الاوربي . اعتكف الشيخ في داره ، وانصرف في نشاطه العلمي الى اللغة ، حتى امسى رائدا من روادها يشار اليه في كل مكان بالبنان يدعو الى احيائها لغة تساير نهضة العلوم والفنون الحديثة ، وتواكب المكتشفات العلمية والاختراعات المتوالية . وفي عام ١٩١٩ م انشات حكومة الملك فيصل دائرة اسمتها « شعبة الترجمة والتاليف » لتحل الكلمات العربية محل الكلمات التركية والاوربية الشائعة في لغة دواوين الدولة . واسندت الى المغربي ونظرائه هذه المهمة العلمية فشارك في تحقيقها بهمة ونشاط . كما اسهم فينشاط « ديوان المعارف » الذي انشاته الحكومة وعرف فيما بعد بالمجمع العلمي العربي وسمي فيه عضوا عاملا . فخرج الشيخ عن عزلته سعيا وراء خدمة اللغة العربية ومدها بالمصطلحات العلمية الجديدة . وضرب القواعد والمثل لكل مجتهد في هذا السبيل وعكف على العمل في هذا المجمع بهمة الشباب من وضع مصطلحات علمية جديدة او تصحيح اخطاء شائعة بين الناس ، الى القاء المحاضرات في مختلف الموضوعات دون كلل او تعب . وقام بتدريس اللغة العربية وآدابها في معهد الحقوق العربي الذي انشىء في دمشق عام ١٩٣٣م وكان هذ االمعهد نواة الجامعة السورية، كما قام بتصحيح لغة العديد من المؤلفات العلمية للجامعة الناشئة ، ولا سيما كتب كليتي الطب والحقوق ، فاصلح لغتها واضاف اليها الفاظا جديدة . وقد بلغ صيته الآفاق فعين عضوا عاملا في مجمع اللغة العربية الملكي بمصر عام ١٩٣٤ م وبات لا ينقطع عن السفر الى القاهرة اثناء كل عام لحضور جلسات هذا المجمع ، والمذاكرة مع اخوانه الاعضاء في شتى الموضوعات ، وتزويد مجلته بالكثير من المقالات والابحاث العلمية واللغوية .

ومن اهم مواقفه المشهورة في ردهات هذا المجمع دفاعه عن لغة الضاد ورسم حرفها ، فقد عصفت ثورته العارمة في احدى الاجتماعات بمواجهة اقتراح الاستاذ عبد العزيز فهمي بابدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي ، وكان موقفه مذكورا ، ولقد تحمل اعباء رئاسة مجمع دمشق منذ عام ١٩٣٥ م وحتى ١٩٤١م في احرج الظروف المالية والاضطرابات السياسية، وكابد في ذلك صعوبة بالغة . وفي اوائل العام انتخب الاستاذ محمد كرد علي للرئاسة ، وانتخب المغربي نائبا للرئيس . فتعاون الشيخ مع الرئيس على دفع المجمع خطوات واسعة وقوية الى الامام . وفي نهاية عام ١٩٤١ م انتخب عضوا في المجمع العلمي العراقي ببغداد . فكان يمد هذه المجاميع الثلاثة بآرائه وابحاثه الادبية واللغوية دون انقطاع ، واعيد انتخابه عام ١٩٥٤ م نائبا للرئيس . وسمي الاستاذ جميل مردم بك رئيسا . وكان الشيخ قد ابى ان يرشح نفسه لمنصب الرئاسة ، حتى لاتشغله الاعباء الرسمية عن الانصراف عن اهتماماته العلمية واللغوية التي ظل عاكفا عليها ليل نهار ، حتى وافته المنية يوم ٧ حزيران عام ١٩٥٦ م الموافق ٢٧ من شوال ١٣٧٥ هـ . فشيعته دمشق بموكب مهيب حتى سفح قاسيون حيث وارته الثرى مخلفا وراءه ثروة خالدة من الفكر وزادا باقيا من الابحاث اللغوية ، تلك الابحاث التي كان طموحه في مجالها كبيرا ، ذلك الطموح الذي لخصه بقوله : « اصلاح لغوي يتلاءم مع مقتضيات الزمن ، ويجعل اللغة العربية لغة سياسة وعلم وفن ».

- ٣ -

ولد المغربي عام ١٨٦٧م (١٢٨٤ هـ) في مدينة اللاذقية على الساحل السوري لاسرة عريقة في الدين والعلم والفضل ، فوالده تولى القضاء في دمشق واللاذقية ، ثم عين عضوا في مجلس ادارة ولاية طرابلس تلقى العلم على ابيه وعلماء اسرته ثم على شيوخ طرابلس وبيروت ، وما شب حتى حفظ المتون في الفقه واللغة والادب على غرار تعلم جيله ، فعين كاتبا في احدى وظائف القضاء الشرعي وما لبث بعد بضع سنين حتى رحل الى الاستانة عاصمة الخلافة والدولة عام ١٨٩٢ م طلبا للمزيد من العلم والمعرفة وسعيا وراء وظيفة افضل وفي العاصمة التقى بعدد من رجال الفكر وعلماء العصر وعلى رأسهم الشيخ جمال الدين الافغاني الذي احكم الصلة معه وتتلمذ على جريدته « العروة الوثقى » ولما عاد الى طرابلس من العاصمة عين عضوا في مجلس معارفها عام ١٨٩٣ م فشرع في نشر افكاره في الاصلاح الديني والاجتماعي والسياسي على النهج الذي سنه استاذه . واخذ يدعو الى التجديد وحرية الراي ، فضاق المتزمتون بدعوته ، وضاقت السلطات بنقده

واعتراضاته وأودعته السجن بعض الشهور حتى خرج الى مصر عام ١٩٠٥ م . وبدأ حياته فيها محررا في الصحف يدعو الى افكار الشيخين الافغاني ومحمد عبده . ولقد شغل الناس حينا من الزمن بهذه المقالات الجريئة والبحوث اللغوية الجادة فقامت بسببها صداقات وصلات ود كثيرة وخصومات اكثر . كان الشيخ فيها طرفا رئيسيا ، ومحرضا حركة النشاط الادبي في العاصمة المصرية .

– ٤ –

كان للشيخ المغربي خلق الاسلاف الصالحين ، ودأبهم على التحصيل ، وانصرافهم الى التحقيق والتاليف ، فقد كان قلمه سيال وفكره جوال ، عالج بهما قضايا الدين واللغة والا ب معالجة اللقن الذكي المجتهد الذي لا يألوا جهدا في خدمة دينه ولغته وآدابها ، وقد خلف لنا آثارا عديدة نشر بعضها ، وما يزال بعضها الآخر مخطوطا ينتظر ، وهذه قائمة بكل منهما :

آ – الآثار المطبوعة :

١ – كتاب «الاشتقاق والتعريب» طبع عام١٩٠٨م في القاهرة ، ثم اعيد طبعه فيها عام ١٩٤٧ م .

٢ – كتاب « السفور والحجاب » ، آراء نشرت وطبعت عام ١٩١٠ – ١٩١١ م واعيد طبعها في دمشق عام ١٩٥٥ م

٣ – كتاب « البينات » في مجلدين طبع في القاهرة عام ١٩٢٠ م ثم أعيد طبعه عام ١٩٢٩ م .

٤ – كتاب « الاخلاق والواجبات » طبع في القاهرة عام ١٩٢٦ م

٥ – محاضرات عن « محمد (ص) والمراة » طبعت عام ١٩٢٩ م

٦ – كتاب « جمال الدين الافغاني » – ذكريات واحاديث : طبع عام ١٩٤٨ م في القاهرة ضمن سلسلة اقرا .

٧ – مناظرة ادبية لغوية بين المغربي والبستاني والكرملي طبعت عام ١٩٣٥ م

٨ – تحقيق « تائية عامر بن عامر البصري » وشرحها طبع في بيروت عام ١٩٤٨ م

٩ – تفسير « جزء تبارك » طبع في القاهرة عام ١٩٤٩ م ثم اعيد طبعه في دمشق عام ١٩٥٧ م

١٠ – على هامش التفسير : طبع في القاهرة عام ١٩٤٩ م

١١ – عثرات اللسان : طبع في دمشق عام١٩٤٩م

١٢ – تحقيق رسالة « التنبيه على غلط الجاهل والنبيه » تاليف ابن كمال باشا – نشر في مجلة المجمع العلمي بدمشق عام ١٩٢٦ م

ب – الآثار المخطوطة :

١ – المعجم اللغوي للالفاظ العصرية : وقد وصل المؤلف فيه حتى حرف الدال .

٢ – كتاب العقائد الاسلامية .

٣ – « اقرب الطرائق الى كنز الدقائق » كتاب في الفقه الحنفي .

٤ – كتاب « احسن القصص في التاريخ النبوي المقدس » .

٥ – كتاب « فنون البلاغة » .

٦ – كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » .

٧ – شرح مقصورة ابن دريد .

٨ – كتاب طائفة الاشعار في وصف الصحاري والقفار .

٩ – التغب او نوادر العلوم وفرائد الآداب .

١٠ – مجموعة محاضراته التي لم تنشر وهي في مجلد ضخم .

١١ – مجموعة مقالاته في الصحف والمجلات .

١٢ – التعليم بالمراسلة .

١٣ – النجم الآفل : وهي ترجمة قصة (غادة الكاميليا) وقد مثلها الشيخ سلامة حجازي .

هذا الثبت الطويل من المؤلفات ينبىء عن الجهد الذي بذل ، وعن الارادة التي تحفز ، وعن الهمة التي تحرك . ولقد أصاب المرحوم العقاد حين قال في رثائه :

(ان الاستاذ المغربي ليذكر ببحوث كثيرة في اللغة ولكنه لا يذكر في هذه الايام خاصة ببحث من بحوثه ، كما يذكر ببحثه عن الاشتقاق والتعريب) . فقد كانت مشكلات اللغة العربية هاجسه الدائم ، ومحور اهتماماته ويوم غلبه اضطراب الاحوال وتقلب الظروف عاف كل شيء الا هذا الهاجس الدائم في فكره ، فكان قدره الذي عاش له الاخلاص كله والداب المستمر ايضا طوال عمره الذي امتد من ١٨٦٧ – ١٩٥٦ م الموافق للعام الهجري ١٢٨٤ – ١٣٧٥ هـ .

الى زوجتي

احتفالا بعيد زواجنا الخامس والعشرين

محمود البارودي

يحلو لنا العمر ، في أنحاء منزلنا ... في عالم مترع بالسحر ، مختصر
في بيتنا نجمع الدنيا ونملكها ... مستغنين به عن سائر البشر
دنيا مصغرة ، صغنا معالمها ... على غرار الهوى المأثور بالسير
نحن اللذان على الافلاك مهبطنا ... من قبل ما هبط الرواد بالقمر
على جناح هوى ، طرنا الى فلك ... عال ، على غرر العشاق مقتصر
تشع نجمين من حب وتضحية ... نكاد نخفي ضياء الانجم الاخر
هذي العناقيد ، من أيام صوتنا ... من كرم ذاك الهوى المقرون بالظفر
في كل حبة عنقود لنا خبر ... فكم حديث به عنا ، وكم خبر
خس وعشرون ، من خمر معتقة ... وكل كأس بها فيض من الذكر
ونتعيد شريطا من مباهجنا ... تطل منه علينا أروع الصور
فآب(١) لفح سموم في مأربه ... وعندنا موسم للعطر والزهر
يهل فينا ربيعا زاهرا ألقا ... يصد عنا عوادي الوهن والكبر
فنحن في شعب الخمسين تحسبنا ... كأننا لم نزل في ريق العمر
لا يبصر الناس منا غير ظاهرنا ... ونلتقي في ضمير غير مستتر
كأنما جدانا أصبحا جسدا ... من وحدة الحس والاهواء والفكر
شمس الهوى أنضجت فينا براعمنا ... حتى ازدهت عقد الاغصان بالثمر
يفيض نهر حنان من أضالعنا ... يبقي الثمار بلا من ولا كدر
كأننا (بردى) يحكي تشعبنا ... تشعب السبعة الانهار من نهر(٢)
لكل فلذة قلب شعبة ، وهوى ... يخشى عليه هبوب الريح في السحر
نعطي ونحرم نفسينا طواعية ... ونحن من لذة الحرمان في سكر
يا واحة الظل في دربي ويا سكني ... يا نفحة العطر في ديواني العطر
تزهو بك النفس أفكارا وأخيلة ... كما زهت خضرة الاعشاب بالمطر
وكل أمر عظيم نلته بيد ... وراءه منك حاد رائع الاثر
كفا بكف ، فانا بالغان مدى ... ينداح خلف حدود الدمع والبصر
لما تزل في ضمير الدن قصتنا ... وحبنا كامن في خاطر الوتر

محمود البارودي

---

(١) عيد زواجنا في آب
(٢) عدد اولادنا سبعة

دراسات
في
الرواية
السورية

رياح كانون

وملامح المجتمع السوري

سمر روحي الفيصل

يستمد فاضل السباعي من ذاته قدرا صالحا يطرحه في مسيرة « رامي حسام الدين » بطل رواية « رياح كانون » ، بحيث يصح عندنا ـ مع قليل من التعميم ـ اعتبار الرواية تطورا في رؤية الكاتب الفنية للواقع الاجتماعي السوري في مطلع الستينات . فقد صور السباعي الحدث الروائي من وجهة نظر « رامي » الشخصية المحورية في الرواية ، بحيث تركنا نرافق البطل في حياته اليومية ، فنشهد ما يقع تحت بصره ، ونحس ما يصطرع في داخله ، على عكس الشخصيات الاخرى التي صورها في شكلها الخارجي فقط . ولعل هذا الرصد لشخصية محورية واحدة في رواية طويلة (٣٢٠) صفحة) هو الجديد في الواقعية الاجتماعية عند السباعي ، ولعله يعتز بهذا الانجاز في رسم شخصية فنية متكاملة اكثر من اعتزازه بالشهرة الرومانسية التي لقيتها روايته السابقة « ثم ازهر الحزن » .

لا نريد في هذه الدراسة استبار ما خلع السباعي من ذاته على « رامي حسام الدين » او « فوزي المجاهد» احد شخوص الرواية ، ممن راينا فيه ملامح اخرى للسباعي . ذلك اننا نؤمن ان الموضوعية في ابداع الشخصيات الروائية لم تتوفر الا في عدد قليل من الروائيين العرب، ولاننا ، ايضا ، لانرى غضاضة في هذا المزج بين الملامح الخيالية والملامح الذاتية الخاصة بالمؤلف في رسم الشخصية الروائية . ولعل السباعي واحد من الذين يوزعون صفاتهم الخاصة ، وطموحاتهم الذاتية ، على اشخاص رواياتهم ، دون ان تستقل شخصية واحدة بالملامح او الطموحات كلها .

واذن فان النافذة الاجتماعية التي ننظر منها الى « رياح كانون » تميز بين الدراسة الفنية والدراسة الاجتماعية (السوسيولوجية) ، دون ان تغفل عن ان هذه الدراسة المضمونية محفوفة ببعض المخاطر ، وبخاصة التعميم في اجزاء من النتائج التي تخلص اليها.

- ١ -

تضعنا « رياح كانون » وجها لوجه امام شخصية « رامي حسام الدين » القلقة المضطربة ، فتصور لنا صراعاتها الداخلية ، وطموحاتها المستقبلية ، وازمة الابداع المستحكمة فيها ، اضافة الى تصويرها الابعاد الثلاثة الرئيسية في الرواية : الحب والاسرة والعمل .

ان « رامي حسام الدين » محام اديب ناقد ، يسكن بعيدا عن اسرته التي تقطن حيا شعبيا ، وان كان يزورها بين الفينة والاخرى لمعالجة المشكلات التي يثيرها اخوه « زكريا » . وعلى الرغم من ان اسرة رامي لاتكاد تحتاج الى مساعدته المادية ، فانها تحتاج اليه

كثيرا لتقويم اعوجاج اخيه ، او ان اعوجاج « زكريا » في الرواية مناسبة يطلعنا فيها الكاتب على احوال هذه الاسرة ــ الشريحة الاجتماعية . انها تتكون من ستة اشخاص : من والد رامي « فارس قصيجي » ، وامه « آمنة » ، واخيه الكبير « عبد الوارث » وزوجته . ورضوان و زكريا ومليحة . انها اسرة شعبية تقليدية . بدات رياح التغيير تعصف بها ، سواء اكان ذلك على مستوى التعليم الذي يناله رضوان في الجامعة ، ومليحة في الاعدادية ، وزكريا في الثانوية ، ام كان على مستوى العمل الذي يمتهنه رب الاسرة حين ادخل الآلة لتقوم بجدل خيوط القصب مع خيوط الصوف او القطن او الحرير ، بعد ان كانت الخيوط تجدل وتلف بالوسائل التقليدية .

ان رامي ما يفتأ يذكر منبته الاجتماعي هذا حتى اصبح هاجسا من هواجسه ، فلا هو ينفصل عن هذا المنبت ولا هو يلتحم به ، ولهذا تراه قلقا يعاني صراعا نفسيا بين رغبته في مساعدة اسرته على تغيير حياتها ، وبين مكوناته النفسية التي جعلته متحللا من قيود الارتباط بهذه الاسرة (١) .

ان رامي الممثل لطبقته الاجتماعية يقف قبالة « لبنى آل الامير » الفتاة الممثلة للطبقة البرجوازية . وعلى الرغم من اننا نعرف تفاصيل ملامح اسرة رامي تكفي لتوضيح الاساس الطبقي الذي يسيره ، فاننا نكاد نجهل اسرة لبنى جهلا تاما . وكل ما نعرفه عنها انها سليلة عائلة حكمت البلاد في اخريات عهد المماليك ، ومن هنا جاء لقبها « آل الامير » . وقد خلف جد لبنى لابيها اراضي كانت باتين مشجرة ثم دخلت في مخطط المدينة العمراني . وان والد لبنى « عزمي آل الامير » اخذ يقوم بمشاريع كبيرة بعد احالته الى المعاش ، بل يطمح الى اكثر من ذلك ، يطمح الى منصب وزير في الحكومة ، وقد عرضت عليه الوزارة فعلا . كما اننا نلمح اجزاء من صورة الاسرة في تصرفات لبنى الشخصية ، فنشهد اسرة غنية، تسمح لابنتها لبنى بان تغادر البلاد السورية الى لبنان للدراسة في الجامعة الامريكية ببيروت، وتمدها بحاجاتها المادية والمعنوية دون تدقيق في سلوكياتها او تصرفاتها الخاصة ، بل ان هذه الاسرة لاترضى لابنتها ان تمتهن عملا بعد تخرجها من الجامعة لان الثقافة عندها للثقافة لا للعمل !! .

ويخيل الينا ان الساعي اراد تصوير اللقاء بين هاتين الطبقتين الاجتماعيتين على مستوى العلاقات الشخصية بين رامي ولبنى ، دون ان يهمل ملء الساحة الفارغة بين الطبقتين بطبقة جديدة ناشئة هي طبقة شخوص النادي ، طبقة البرجوازية الصغيرة الناشئة بما تحمله من طموحات مستقبلية وصراعات نفسية . ومن الملاحظ ان كثيرا من ابناء هذه الطبقة ــ وهم هنا اعضاء النادي الادبي الذي ينتسبون اليه ــ من كتّاب القصة : بهاء الدين عاشور ــ فوزي المجاهد ــ خالص نعماني ــ ياسر عطري ــ عبد المعين هدايت ، ومنهم من يمتهن المحاماة ايضا ، مما يذكرنا بالمؤلف نفسه(٢) وقد مارس المحاماة في بداية حياته العملية . كما ان هذه الملاحظة تدل دلالة كافية على ان شخوص الرواية ــ وبخاصة من ذكرنا من اعضاء النادي ــ مجندون من قبل الساعي المؤلف لخدمة رامي الشخصية المحورية في الرواية ، او لتسجيل ردود افعاله المباشرة .

ولا ينسى الساعي ان يضع في الساحة الفارغة ايضا شخصيتين هامشيتين من ابناء طبقة رامي الاجتماعية ، ليكونا صلة الوصل بين الطبقتين في الرواية كلها بما يحملانه من مفاهيم ومعتقدات . وهاتان الشخصيتان هما ابو عقيل آذن المركز الثقافي، و «هدية» خالة رامي التي تقوم بتدبير شؤون منزله دون ان تتخذه سكنا لها .

ان الساعي يصور لنا هذا كله في الفصول الثلاثة الاولى من الرواية(٣) ، بحيث يمهد بها للقاء التالي بين رامي ولبنى ، بين البرجوازية الصغيرة والبرجوازية الكبيرة . وما دام المؤلف قد ارتأى ان يكون هذا اللقاء على مستوى العلاقات الشخصية ، فقد مهد في الفصول المذكورة للحدث الروائي الذي يريد ان يسرب اللقاء خلاله . لقد جعل رامي ناقدا اديبا ذا شهرة واسعة في نقد الرواية ، كما جعله يتوق الى ابداع رواية خاصة به ثم وضع في طريقه لبنى آل الامير ، فجعلها تكتب رواية تعرضها على رامي لترى رايه فيها . واذن فقد جمع الادب بين ابناء الطبقتين ، كما جمع شخوص النادي ، فاستوى الامر للمؤلف، واخذ يبسط القول في الفصول الاخرى عن ازمة رامي الابداعية ، او قل انه اتخذ ازمة الابداع عند رامي وسيلة لتحقيق اللقاء بين الطبقتين .

- ٢ -

ان رامي مازوم(٤)، وازمته ازمة ابداع . انه يكتب دراسات في « طريقنا الى الادب الصحيح »(٥) ، ويحاضر في « الزمن في الرواية الحديثة »(٦) ، ويناقش في « الادب العربي الحديث »(٧) ، ولكنه عاجز عن كتابة رواية خاصة به . ان قوة رامي ، ناقدا ، في محاسبة الروائيين ، قد ابعدته عن ان يكون له عمل روائي . ولذلك تركه المؤلف يدخل غمار تجربة كبيرة .

لقد تعرف رامي في المركز الثقافي على لبنى آل الامير الفتاة البرجوازية الجميلة . وفي اول حوار بينهما تخبره انها كتبت رواية ، فيختلط الامر عنده ، اذ انه يحاول ان يستميل الفتاة ولكن « لامس اعلانها الفراغ من وضع روايتها في قلبه وترا تردد له في نفسه صدى بعيد »(٨). لقد بدانا مع هذه العبارة نمسك اول خيوط ازمة رامي وسنتابعها في بقية حواره مع لبنى في المركز ، وفي اماكن كثيرة من صفحات الرواية . ففي الحوار عينه نرى رامي يعود الى نفسه مرة اخرى « مستذكرا عديد المحاولات اليائسة التي بذلها في وضع عمل روائي ... وها هي فتاة ناشئة تكتب وتمضي الى غايتها رغم كل شيء »(٩) . ان ازمته تملك عليه تفكيره ، ففي حين يفكر في ان يستميل الفتاة يخاطب نفسه : « ان علاقة ما ، يؤسسها مع هذه الخضراء العمر، كفيلة بان تلهمه اعظم رواية في آداب الدنيا » . واذن فقد وجد رامي في استمالة الفتاة موضوعا للرواية ، وموضوعا للهو في آن معا ، ولكن الاول اقوى تاثيرا في نفسه « واتخذ قراره: لسوف آخذ بيدها في شعاب الفن. وهتف لسانه عاليا : انت مقبل منذ غد على امر ... وفكر وهو يرقى درج النادي : عشر محاولات مغبية في درج مكتبي»(١٠).

ليست الرغبة في استمالة الفتاة هي التي دفعت رامي لعرض مساعدته في اعادة صوغ رواية لبنى ، اذ ان ازمته النفسية هي التي دفعته ـ في حقيقة الامر ـ الى ذلك ، فلعله ـ وهذا هو شعوره الاصيل ـ واجد في تلك المساعدة ما عجز عن تحقيقه لنفسه ، واجد فيها تحقيق طموحاته المستقبلية التي كافح طويلا من اجلها وترك اسرته بسببها ، وكانه بذلك يسقط ما عنده من رغبات معاقة عن التنفيذ على لبنى وروايتها ، في محاولة نفسية للتخلص من الآثار السلبية للازمة . انه ركود نفسي اصيب به رامي ، ولا خلاص منه بغير محرك نفسي قوي مزلزل . وقد توصل « خالص نعماني » ـ احد شخوص الرواية ـ الى موطن الداء ، فوصفه لرامي في الجملة التالية : « يوم يحين لك ، يا رامي ، ان تحب المرأة الى درجة العبادة ، فسوف تستحيل البحيرة الساكنة في اعماق نفسك الى بحر صاخب هدار »(١١) ان رامي بحيرة ساكنة ، وتلك هي ازمته الحقيقية في راي « خالص » ، وهو يتوق ـ لا شعوريا ـ ان يصير بحرا صاخبا ، والتقرب من لبنى هو الطريق الصحيحة لذلك . ولهذا لا يجد قارىء الرواية غرابة في تطور رغبة رامي في امتلاك لبنى الى حب حقيقي ، تطلبه نفسه وتمهد له الطريق . فبعد ان ترك النادي ، عاد الى منزله وهو يخاطب ذاته قائلا : « ما يكون شانك بعد يا رامي ؟ هل تخلف لبنى آل الامير اثرا في حياتك ؟ البحيرة الساكنة يحسها اضطربت بين جنبيه اليوم بعض الاضطراب »(١٢) .

ان رواية لبنى التافهة تتحول بين يدي رامي الى رواية جديرة بالاهتمام ، عنوانها « احزان الى الابد » ولكن لبنى لا تنظر الى رامي بمنظار الحب، وانما بمنظار المنفعة . فحين ينهي رامي صوغ روايتها ، ويبلغ حبه اوجه، وتبلغ ازمته مداها حين يشعر باخفاقه في اخضاع هذه البرجوازية ، تسافر هي الى بيروت « لتسويق » روايتها ، ويطول غيابها عنه ، وهو يتسقط اخبارها اولا بأول. انها تعود اخيرا لتؤكد له صحة الاخبار التي وصلته عن علاقاتها وسهراتها ، بل انها تصرح له بعلاقة جنسية جددتها مع زميل قديم لها في الجامعة ، فتثور ثائرته ، او يثور الرجل في نفسه ، فقد بدات شكوكه تزداد في اثناء غيابها ، وها هي تصرح له بما يؤكد ظنونه لكن لسانه يعجل معلنا : « ولو ... » ثم يدرك « كم جمع منه اللسان »(١٣) ، ويبدأ يشعر بالضعة والهوان وتبرز « الدونية » التي يتشعرها ازاء تربيتها البرجوازية . ان اتحاد الضعة والهوان والدونية مع الرجل الثائر في نفس رامي ، هو الذي دعاه الى ان يقرع نفسه :

« ثم يعجل لسانك الى اعلان الرضا ؟! ولو .. يا ايها النغل البليد !

اخرج يده من جيبه . لا يحس بردا : اية مهانة !

وخاطب ذاته :

ـ لقد احالت هذه الفتاة بحيرة نفسك الى بحر صاخب هدار ! بثت في ارجائك الاضطراب . اعظم الاضطراب »(١٤) .

لقد كان هذا الشعور بالضعة بداية النهاية في ازمة الابداع عند رامي ، فالبحيرة الساكنة قد تم اضطرابها ، وهو يستطيع الآن كتابة الرواية التي يحلم بها . وها هو يجد موضوعا جديرا بالكتابة :
« وحرض نفسه من جديد : عليه أن يتحلل من ادرانه ، ليبدع رواية ... ليكتب قصته معها »(١٥) .

ـ ٣ ـ

« وفكر : هي بنت أمير .. وانا ابن قصبجي ! لو انها تضع قلبها على كفها وتهبه اياه : دونك قلبي ودعني أعيش معك .. اذن لانقلب يرد عليها هبتها معتذرا . طبقتان على طرفي نقيض ! الدارة ،والدار الشعبية ! بحسبه انها صديقة له تخطب وده ، ود ما وهب من ثقافة وادب ! وخاطب ذاته : لو لم تكن الناقد رامي حسام الدين لما سعت اليك لبنى آل الامير، سليلة الامراء وكريمة ذلك المرشح لان يشغل منصب وزير ... »(١٦) .

ان هذا نص من النصوص الكثيرة التي يناجي فيها رامي نفسه . فيعقد تلك المقارنة بين طبقته الاجتماعية وطبقة لبنى . ويرى الهوة الكبيرة بينهما : « طبقتان متباعدتان : صانع ووزير »(١٧) . كما ان قلقه الاساسي قلق لا انتمائيته . ما يفتأ يرفع راسه عاليا في ارجاء الرواية كلها :

« وفكر في أسى : ان في اللحظات ذاتها ، حيث كنت امضي مع لبنى أجمل الهنيهات ، كان ثمة معركة حقيقية في بيت الحاج فارس قصبجي ، في بيت اهلي »(١٨) .

على الرغم من هذه اللاانتمائية، وهذا القلق الناتج عنها ، فان لقاء رامي بلبنى قد تم عبر علاقات شخصية خاصة تمثل في جوهرها اللقاء بين الطبقتين المتباعدتين لقد كان اللقاء من خلال ازمة الابداع عند رامي . ولقد انتهى هذه النهاية الطبيعية المحتومة ، وذلك هو الجديد في الواقعية الاجتماعية في هذه الرواية ، اذ لم يكن بالامكان ـ في اي حال من الاحوال ـ ان يتم لقاء حقيقي مثمر بين الطبقتين ، لان كل علاقة اجتماعية بينهما ما هي الا علاقة نفعية . ان لبنى البرجوازية قد استخدمت رامي مطية لتحقيق غرضها الخاص ، استخدمته لترقى على كتفيه سلم الادب ، بل انها ظلت في حاجة اليه ليساعدها ، ولكنها لا تريد ان تقترن به . انها اعجبت به اعجابا حقيقيا ولكنه احبها . سواء اكان حبه حقيقة ام تعويضا نفسيا عن القلق الذي يستشعره بين منبته وطموحاته . وبرغم ذلك القلق والصراع النفسي الذي استحوذ عليه ، فانه لم يرضخ ولم تلن قناته ، بل ثار على الحب في نفسه . وقضى على صراعاته الداخلية حين أيقن بعدم جدوى اللقاء بين الطبقتين . حين عرف طريقه :

« واخط في مذاكرتي سطرا راعفا :
ـ لماذا انت حزين ، يا رامي ؟
اخاطب في المرآة نفسي . آخذ جرعة :
ـ انه البون !
اكتب خواطري .. خاطرة خاطرة :
ـ اخوك حقير ! وابوك فقير ؛ وابو لبنى امير يوشك ان يسمى وزيرا ! »(١٩) .

ان احساسه المتعاظم بهذه الهوة بين الطبقتين لم يدفعه الى اليأس والتشاؤم ، بل دفعه الى تعميق الاحساس « بالدونية » التي يستشعرها ازاء هذه الطبقة البرجوازية . ولعله . اذ حسم امره . قادر على ان يكون شيئا عظيما :

« ان في وسعي ، اذن ، مع الجهد ابذله ، ان اغدو وزيرا . وان في وسعي ، مع الجهد ابذله ، ان اكتب رواية لي اولى . ان بنفسي ان اشرع لتوي في عملية مخاض . «الحوادث» تختزنها واعيني وتمتلىء بها هذه الصفحات امامي . وبالفن انسق « مادتي » واصهرها في بوتقة التجربة »(٢٠) .

ان هذه الرؤية الفنية لطموحات الطبقة الاجتماعية السورية في الخمسينات من هذا القرن . وهي تؤكد الحضاري بعد الاستقلال ، هي رؤية سليمة للمدن السورية في الخمسينات من هذا القرن . وهي تؤكد موقف السباعي من هذا الصراع ، ذلك الموقف المؤمن بأهمية القطاع الجديد الناشىء . الذي بدأ يتكون في المجتمع السوري . ودور هذا القطاع في عملية التغيير تهب على اسرته من اول الرواية فيدخل ابوه الآلة الى عمله التقليدي ، ويذكر اقناعه لهذا الاب بالسماح لـ « مليحة » بالذهاب الى المدرسة « بالاشارب » ،

وثورة زكريا على حياة الاسرة الرتيبة لعدم قدرتها على امداده بحاجاته من المال . ان ذلك كله موجود الى جانب بقاء عبد الوارث امينا يشارك اباه في العمل ، ويكتفي من حياته بزوجة يلقاها في المنزل حين يعود مساء من عمله.

ومع هذا فلم تطف هذه الرؤية الفنية على سطح الرواية لبراعة الباعي في استخدام ادواته الروائية ، فبقيت في الاعماق مستترة بأزمة الابداع التي استهوت المؤلف فراح يتبعها خطوة اثر خطوة على المستويين النفسي الداخلي والخارجي لشخصية رامي . وكان الباعي المؤمن بمقدرة اسلوبه على الامتاع ، وبحنكته في رسم الحبكة الروائية ، ورغبته الخاصة في كتابة عمل يستمد من الذات قدرا اكبر مما يستمد من الحياة قد ابعده عن ان يترك لمضمون روايته الاجتماعي ان يعلن عن نفسه بوضوح في الرواية . وان في دراسة « الزمن في رباح كانون »(٢١) دليلا كافيا على براعة المؤلف ودرايته بما يقوم به ، اذ جعل الرواية في واحد واربعين يوما فقط ، وكانت نصف هذه الايام (عشرون يوما في ٣٥٦ صفحة من الرواية البالغة ٤٣٢ صفحة) هي الرواية كلها اذ هي ايام لقاء رامي بلبنى ، في حين ان النصف الآخر تصوير لما اعتمل في نفس رامي في اثناء غياب لبنى في بيروت ، ولا غرو ان يكون هذا النصف الثاني كثير الايام (عشرون يوما ايضا) قليل الصفحات (٤١ صفحة فقط) لان تصوير الصراع النفسي عبء كبير على الكاتب كما هو على الشخصية تماما . ان هذا الضيق في المهاد الزمني للرواية احتاج من المؤلف تعميق اللحظة الزمنية ليستطيع سبر نظيرها من اللحظة النفسية ، مما جعله يتعمق ذاته في خلق شخصية رامي ، دون ان يلقي كبير اهتمام الى توضيح رؤيته الفنية الاجتماعية ، وان كنا لا ننسى ان هذه الشخصية هي في حد ذاتها مسرب الرؤية والدليل عليها في آن معا .

- ٤ -

ان « رياح كانون » كمثيلاتها من الروايات السورية التي كتبت في النصف الاول من الستينات ، لم تلق الاهتمام اللائق بها درسا وتحليلا . ولقد آن الاوان ، ونحن في مرحلة التأثيل الروائي والقصصي عموما ، ان نعير هذه الفترة التفاتة خاصة ، لان الرواية السورية قد تطورت فيها تطورا ملموسا ، وقفزت قفزات واضحة بحيث فارقتها شؤون فنية قديمة ، ودخلتها شؤون واسماء جديدة ، فغدت ابعد عن الواقعية العاطفية ، واقرب الى الواقعية الانسانية . ولا شك ان الدراسات المضمونية لهذه الروايات وبخاصة : سلاسل الماضي – غرباء في أوطاننا – شرخ في تاريخ طويل – اللاجتماعيون – حسن جبل – ملح الارض – ثم ازهر الحزن ، تعيننا على سبر المجتمع العربي عموما والسوري خاصة في هذه الفترة كما توضح امامنا نهج الدراسة السوسيولوجية لهذا الواقع ، وفي ذلك مافيه من تقنين للعملية النقدية ، اذ ان كل عمل ادبي يحاول ان يقول شيئا عن المجتمع الذي نشأ فيه .

● سمر روحي الفيصل

---

(١) : يتضح تحلل رامي من الرابطة الاسرية في تغييره اسمه من « محمد رامي القصيمي » الى « رامي حسام الدين » !!

(٢) : درس فاضل الباعي الحقوق بجامعة القاهرة (١٩٥٠–١٩٥٤) ، ومارس المحاماة في مدينة حلب ، قبل ان يعمل موظفا في وزارات الدولة منذ آذار ١٩٥٧ وهو الآن مدير الشؤون الثقافية بجامعة دمشق .

(٣) : اوردنا بعض الملاحظات من غير الفصول الثلاثة المذكورة استكمالا للصورة التي عرضناها ، وبخاصة ما ذكرناه عن اسرة لبنى آل الامير .

(٤) : سبق ان تحدثنا عن هذا الامر في دراستنا « رياح كانون وازمة الشخصية الحورية » . راجع مجلة « افكار » الاردنية ، العدد ٣٣ ، تشرين الثاني ١٩٧٦

(٥) : رياح كانون – ص ٢٢

(٦) : رياح كانون – الفصل التاسع

(٧) : رياح كانون – ص ٢٦٤

(٨) : رياح كانون – ص ٢٧

(٩) : رياح كانون – ص ٢٩

(١٠) : رياح كانون – ص ٣٤

(١١) : رياح كانون – ص ٥٠

(١٢) : رياح كانون – ص ٥٤

(١٣) : رياح كانون – ص ٤١٧

(١٤) : رياح كانون – ص ٤٢٣ – ٤٢٤

(١٥) : رياح كانون – ص ٤٢٤

(١٦) : رياح كانون – ص ١٤٠

(١٧) : رياح كانون – ص ١٢٣

(١٨) : رياح كانون – ص ٢٤٣

(١٩) : رياح كانون – ص ٣٩٩

(٢٠) : رياح كانون – ص ٣٩٢

(٢١) : ان شئت تفصيل هذه النقطة راجع دراستنا في مجلة « افكار » الاردنية ، العدد ٣٣

خطأ الديالكتيكية

في تفسير التطور المادي

علي ونوس خنسة

يبدو ان ماركس وانجلز معذوران في تفسيرهما لتطور المادة لانهما عاشا في عصر كانت الكلمة :الاولى فيه للفلسفة والفلسفة ما هي الا محاولة العقل البشري للوصول الى الحقيقة عن طريق اعمال الفكر في الموضوعات التي تبعثها ولكن من المعلوم ان الفلاسفة من لدن سقراط حتى هذه الساعة لم يصلوا الى حقيقة مسلم بها بل اختلفوا وما زالوا مختلفين الى ان يرث الله الارض وما عليها ، ولكن غرور بعضهم اخذ يفرض تفسيره العقلي على المادة ويضفي على استنتاجاته طابعا علميا لا يقبل الشك،غير ان التقدم العلمي في ميادينه التجريبية سخر من تعليل ماركس وانجلز وتفسيرهما لحركة المادة وابطل نتائج بحثهما المغلوطة ،واعتقد لو اتيح لماركس وانجلز أن يعيشا في هذا القرن ويشهدا ماحققه العلم من تقدم يهدم الحقائق التي توهماها لتراجعا عن نظريتيهما ولتنظر الان في ضوء العلم الى التفسير الديالكتيكي لحركة المادة ٠

يقول الديالكتيكيون ان الاشياء تنتج عن حركة في المادة وان هذه الحركة تنبثق ذاتيا من المادة نفسها لاحتوائها على النقائض و نشوب الصراع الداخلي بين تلك النقائض ٠

واذا طبقنا المنهج العلمي والحقائق العلمية على هذا التفسير الديالكتيكي نرى أن المناصر البسيطة عدة أنواع ولكل عنصر بسيط رقما ذاتيا يخصه دون غيره وكلما كان العنصر أرقى كان رقمه أكثر حتى ينتهي التسلسل الى اليورانيوم الذي يعتبر أرقى العناصر وأعلاها درجة ٠

وبين العلم أن مادة العناصر البسيطة واحدة ومشتركة في الجميع والسؤال الآن كيف وجدت العناصر العديدة المتنوعة من تلك المادة البسيطة المشتركة ٠

فالجواب على أساس الديالكتيك الماركسي ،يتلخص في أن المادة تطورت من مرحلة الى أخرى أرقى حتى بلغت درجة اليورانيوم وبناء على هذا يجب أن يكون عنصر الهدروجين هو البداية في هذا التطور باعتباره أخف العناصر البسيطة فالهدروجين يتطور ديالكتيكيا بسبب التناقض الداخلي فيه فيصبح من منطلق التطور الديالكتيكي عنصرا أرقى وهذا العنصر الثاني ينطوي على نقيضه فيشتمل الصراع في داخله حتى يتحول الى عنصر ثالث وهكذا تستمر السلسلة طبقا للمدور الذري هذا هو التفسير الوحيد الذي يمكن أن يقدمه الديالكتيك ليتلاءم مع ديناميكية المادة ولكن هذا التفسير خاطىء من الناحية العلمية لان الهدروجين لو كان يشتمل على نقيضه ذاتيا ولو كان متطورا بسبب هذا التناقض الذاتي طبقا لقوانين الديالكتيك فلماذا لم تتكامل و تتطور جميع ذرات الهدروجين وكيف اختص التطور بذرات هيدروجينية فتكاملت ووصلت الى نهاية سلم العناصر الذري وبقيت الذرات الهدرجينية الاخرى دون تكامل وتطور وهل يصح في قانون العلم ان تتطور بعض ذرات الهدروجين ذاتيا وتتكامل ذاتيا دون الاخرى ان التكامل والتطور الذاتي لا يعرف التخصيص ٠

فلو كانت عوامل التطور والترقي موجودة ذاتيا في صميم المادة الازلية اختلفت اثار تلك العوامل ولما اختصت

●● خطا الديالكتيكية

بمجموعة معينة من الهيدروجين مثلا تحولها الى هليوم وتترك باقي ذرات الهدروجين الاخرى ·

ان نواة الهدروجين ـ البروتون ـ اذا حملت في ذاتها نقيضها اي نقيضها وحدث التطور داخلها تبعا لذلك واصبحت بروتينين بدل بروتون واحد كما تقضي قوانين الديالكتيك المادي لنتج عن ذلك زوال الماء عن وجه الارض تماما لان الطبيعة اذا فقدت نوى ذرات الهدرجين وتحولت جميعهـا الى نوى ذرات الهليوم بناء على التطور الديالكتيكي لم يكن من الممكن ان يوجد ماء على الاطلاق ·

فما هو السبب الذي جعل تطور الهدرجين الـى هيليوم يقتصر على كمية معينة من الهدروجين وترك باقي وخلصه من التطور الجبري كما تزعم الديالكتيكية الماركسية

واذا انتقلنا الى تطبيق قوانين الديالكتيك على المركبات لنرى استحالة حدوثه فالماء على سبيل المثال اذا كان قـد تكون على اساس قوانين الديالكتيك فمعنى ذلك أن الهيدرجين يعتبر اثباتا وهذا الاثبات يتولد فيه نفيه او نقيضه ذاتيا فينتج الاوكسجين ثم يتحد النفي والاثبات معا ويتكون الماء الذي اجتمع فيه النفي والاثبات معا وحصل نتيجة للصراع الديالكتيكي بين النفي والاثبات والسؤال الان لماذا تم هذا التكامل وذلك الصراع في ذرات هدروجينية دون الاخرى لان منطلق قوانين الديالكتيك ان يكون الصراع في كل ذرات الهيدروجين في الكون لان القانون لايعرف الاستثناء وتخصيص ذرات دون اخرى اذ نجد ان الماء موجود وكذلك الهيدروجين المستقل موجود مع ان القانون الديالكتيكي يقتضي تحويل جميع ذرات الهيدروجين الى ماء عن طريق الصراع الذاتي بين النفي والاثبات في ذرات الهيدروجين والعلم قطعا يدحض هذا التعليل وواقع الكون كذلك والحقيقة العلمية في هـذا الخصوص تقول ان التطورات والتحولات في المادة ناشئة عن عوامل طبيعية خارج المحتوى الذاتي للمادة وهذه العوامل تتسلل حتى تصل في نهاية التحليل النفسي الى مبدأ وراء الطبيعة لا الى المادة ذاتها ·

والخلاصة هي : ان وحدة المادة الاصلية للعالم التي برهن عليها العلم وتنوعاتها المختلفة التي عللها العلـم التجريبي ودلل هذا العلم على ان التنوع والتطور في المادة عرضي وليس ذاتيا ووضح ان التنوعات والاتجاهات لا يكمن في المادة ذاتها بل في سبب ذلك فوق حدود الطبيعة ترجع اليه جميع العوامل الطبيعية الخارجية وقوانينها التي تعمـل باستمرار على تنويع المادة وتحدد اتجاهاتها ·

علي ونوس خنسة ـ السلمية

قطاف الاحلام

صدر في دمشق كتاب ـ قطاف الاحلام ـ لعبد الرحمن النابلسي يضم عشرين رسالة بوح ، اهداها : ـ الى التي تركت كل ماتريد لتمنحني كل ما أريد ، الى ـ حبيبة ـ اهدي هذا الكتاب ـ . وقدمه ياسر المالح بقوله: ـ عبد الرحمن احتفظ بسجله ، وهو يعتز به أيما اعتزاز ، لانه يرى فيـه حياة شبابه . ولكل امرىء أن يعتز بما يشاء فهذا أمر يخصه وحده ، ولكني اعجب لعبد الرحمن كيف يريد أن ينشر ما كتب على الناس . قلت له : ياصديقي هذا ادب ذاتي مضى عهده وانتهى . ولا ارى فائدة تجنيها من نشره في هذا العصر المادي الذي بات لا يحفل القراء فيه بهذا النوع من الادب . تغير التفكير وتبدل وجاوز المرحلة الرومانية الى المرحلة الواقعية . قال : ـ اليس من حقي ان انشر ما كنت احس به صادقا؟ اليس الادب تجربة انسانية صادقة ؟ قلت له : هذا حق ، ولكن تجربتك لم تبق نفسك ، انها ذكرياتك وحدك . ولا يشركك فيها احد ، من الناس . الا اذا كان في ربعان الصبا ، وقد يتفق معك او يختلف ، وانا لا انكر انني استمتعت بصياغك الجميلة وصورك الاخاذة ، لكنني اعتبر هذه المتعة ترفا . قال لي : اتكتب هذا فـي المقدمة ؟ قلت : اكتب . ولكني ارجو ان ارى مجموعة قصصك منشورة بعد هذا المؤلف فيها تبني مجـدك الادبي ، وبها يعرفك القراء حـق المعرفة . ولا بأس ان تنشر انتاجك وفق تسلسله الزمني فذلك ادعى الى تاريخ حياتك فـي مسيرتها المنظورة . اما بعـد . فهـذه خواطر محب صادق كتبها عبد الرحمن في سنوات خلت وهي مجموعها قصة حبه المتعثر . وهي أن لم تبلغ رسائل الاحزان واوراق الورد تحوي رونقا ورواء ـ .

الكتاب في ١٩٢ صفحة من القطع الوسط العريض ، عن دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر .

من كتاب
الحركة
الشعرية
في حمص

مروان امّاز السبتي

شاعر به متدفقة ...
تعتمد التسجيل من خلال المواقف
قبل التعبير من خلال الفن

محمد غازي التدمري

المطلع على الاثار الفنية عموما ، يجد انها تحمل بجوهرها نوعين من الفن .

نوع ينتمي الى الفن الاصيل من خلال تجاربه الشخصية ، معتمدا على حس واع .. والتحام مع الحدث ، من خلال ذوبانه المطلق مع ذاته.. ليبلور ارهاصاته الداخلية ،اثارا تكون صورة صادقة ومعبرة عن هذه المعاناة . ونوع آخر يتجه بالفن اتجاها معاكسا .. يميل الى الكسب والتجارةعن طريق النشر واراقة ماء وجه الكلمة على عتبات الصحف والمجلات الادبية . في هذا النوع من الفن تتحول الكلمة الى يضع بذهنه خدمة الفن،ولذلكما تتبخر قيمتهالفنية،وتضيع وسيلة لتحقيق هدف مادي .. يسعى الفنان اليه قبل أن بسرعةمعالمه فيزحمةالعطاءاتالجادة. في النوع الاول. تنطوي عدة اتجاهات .. وتيارات فنية .. يحاول الفنان اعتمادها من خلال تجاربه المتفاعلة مع الحياة ، التي تفتح امامه نافذة عريضة،يطل منها على مسرح الاحداث العامةوالخاصة فتتوزع المعاناة في عدة اتجاهات تكون الغاية منها : الوصول الى الصيغة النهائية التي يعبر خلالها عن معاناته وتجاربه .

والفنان في ذلك لا يعتمد النشر حافزا للعطاء كما في النوع الثاني وانما الحافز عنده يكمن في خلفيات المواقف التي تتداخل مع انفعالات النفس التي تعمل من توازنها بعد ان تعيش مراحل مختلفة من القلق .. والفرح .... والاضطراب نتيجة الالتصاق المتفاعل مع كل ما يحيط به ، فيكون الاثر بصياغته الاخيرة متنفسا لهذه المعاناة المتصارعة والمنفعلة في ذات الفنان .

ولذلك .. ليس المهم في هذا الموقف ..أن يقال :انك شاعر ، ولك صولات وجولات في عالم الفن .. وانه لولاك لكان في تقهقر وانحدار شديدين . فكل الكليشهات تتضاءل كما تسقط الاقنعة أمام المعاناة المتجهة بالفن نحو شواطىء الوعي والادراك . فما دام الهدف من المعاناة نقل الاحساس الداخلي على مساحة الورق لترتاح النفس وتهدأ العواطف فان أي قيد فني لن يكون قادرا على حصر هذه الاثار ... لانها وليدة ظرف طارىء .. ونتيجة معايشة مفاجئة ، فالموقف يتخذ هنا ، وضعا خاصا يرسمه الفنان ، من خلال معاناته الضيقة . ان انه يبقى بوحا فنيا يعطي دلالة واضحة على شخصية الفنان ، خلال تفاعله مع الاحداث التي يعيشها داخل أو خارج نفسه . ومن هنا فان اية محاولة لاسقاط التجارب الذاتية من الفن هي محاولة خاطئة . لان الكل لا ينفصل عن الجزء .. كما أن الجزء لايستطيع الا أن يكمل الكل ، فهما ملتحمان في دائرة الفن الواحدة والمحدث مهما كانت طبيعته يبقى حافزا على الولادة والعطاء ، وكل العطاءات لا يمكن الا وان تساهم في بلورة الاطار العام لمسيرة الفن خلال فترة زمانية محدودة ،وعلى مساحة مكانية واضحة .

من هذا المنطلق نستطيع أن ندخل عالم الشاعر مروان اتماز السباعي .. ذلك العالم المختلف الاعراف ، المتعدد الاصناف .. المتلون بكل الالوان الجميلة والعامة .. وقد حمل تلون النفس بكامل معاناتها المختلفة ، وهذه المعاناةلم يكن حب النشر والانتشار حافزا على تصورها وانما كان الشعر قاربا طالما امتطاه في خضم حياته الصاخبة ولذلك .. لن

تجد في تجاربه العامة لونا فنيا معينا ·· لان المعاناة موزعة بين عدة اتجاهات حملت عدة اسماء ·· فيها المداعبة الرقيقة والطرفة الهادفة والمساجلة الفنية الممتعة ·· الممتدة جسور محبة بينة وبين الشعراء ·· اضافة الى التجارب الوجدانية والذاتية وقد توزعت خطوطها ·· وتشاكلت مستويات الابداع فيها ·· لتصب في النهاية بمصب واحد حمل صورة الشاعر الذي عاش الحدث فاعلا ومنفعلا ·· مصورا ومسجلا عاشقا ومازحا ·· فالمواقف تشغل في شعره مساحة واسعة·· لانه يعتمد المواقف اصلا في التجربة ·· والتعبير فرعا فيها وهذا التجاوز جعل الاثار تتجاوز مراحل الانفعال الداخلية وتتخطى المعاناة المهيأة مسبقا ·· فجاءت نتيجة ذلك عفو الخاطر ·يشاهد الشاعر فتاة جميلة ينظر في عينيها الجميلتين فيشعر بنداء خفي يدعوه··فيخجل من ذلك ·· ويعيد النظر فيلمس حرارة النداء فيتجرأ ويرغب ·· فتختفي من أمامه ويعود ليقول :

ترفعت عن حب الحسان تعاليا
واسقطت من جنبي الجياد الغواليا
وجافيت حتى قيل اني جامد
وان فؤادي صار كالصخر قاسيا
ورب حنان في الجوانح خامد
دعاه رفيف الحسن فارتد عاتيا
ومرت كانفاس الربيع يلفها
من الحسن برد يسلب اللب ساريا
واومت باهداب تخال صيالها
على جيش حبات القلوب عواليا

ويتابع في وصف موقفه من هذه العيون الاسرة التي نادته ليتخلى عن ابراجه ·· ويعود الى طبيعته المجردة . فلا يضن بذلك بل يستجيب فورا بعد أن ذاب بنظراتها التي افقدته توازنه :

وما عدت ادري اذ غزاني جمالها
اتضمر حبا مثل حبي تجاهيا
ولكنني مازلت انتهب الندى نديا
واجني موسم الحسن زاهيا
جمال وادلال وصد ورغبة
تضافرن حسنا فامتلكن عنانيا
عشقتك الهاما ووحيا ونشوة
واسلمت طوعا للعيون قياديا
لعينيك ما عانيت واخترت من اسى
فلولاك لم اختر ولم ابق عاتيا
فسبحان من اعطاك جوهر حسنه
واعطى فؤادي نشوة الحب راضيا

فهو وان اراد ان يقنعنا بأنه متردد في اهوائه ·· ومتصلب بمواقفه من المرأة ·· فانه لا يستطيع ذلك ·· لان هذا الموقف المتردد يختفي في تجاربه الباقية ·· حيث نراه طوع ايماءة الحسن وطرفة عين الجمال ·

فبعد أن آب من رحلة طويلة يعود فيقدم لزوجته··· ملهمة شعره الوجداني··زجاجة عطر وبطاقة شعر يقول فيها:

هذي النسائم من عطر لك ابتسمت
فرفرفي يانسيم العطر وابتسمي
قلبي حوى من زهور الروض اعبقها
ونال قلبك منه أفضل النعم
لاتأسفي لظروف الدهر تبعدنا
عن السعادة والامال والعلم
فالقلب لاتطفيء الابعاد شعلته
ما اخمد البعد لحن العاشق النهم
الحسن ينطق ما في القلب من بدع
سحر العيون ينادي فتنة القلم

فمع طغيان التسجيلية العادية على مساحة قصائده،الا انها لاتستطيع أن تخفي غلالة الرقة والوضوح والتصوير الجميل ، وما ذلك الا لانه لم يالف التأليف في الشعر كما لم يمتهن الصنعة في صياغته بقدر ما كان يحاول ايجاد الصورة الهادئة ·· لتعبر عن الموقف الذي يعترض حياته :

وتبرق عيناها فترعد اضلعي
وتقرب أحلام عسير بلوغها
وتعبس حيرى فالجوانح شعلة
فتطفي دموعي كالسيول لهيبها
ولولا غرام بت ارعى زهوره
واسقيه من روحي كريم شعورها
لفضلت قبرا للتراب يضمني
فليس جميلا أن اعيش بدونها

فمع تجزئة المعاني ·· والمطابقة غير المعقولة بين (السيل واللهب)والهوة الفاصلة بين التجربة وفرق التراكيب نستطيع أن نقول بأنها لم تخل من الشعر والفن ولو انه اعاد النظر في نتاجه كان من الممكن أن يعطي آثارا قيمة ذات دلالة أوضح على شاعريته ، بيد أن الاهتمام يتضاءل أمام الهدف الذي سخر الشعر له ·· وهو أن يكون بوحا سريعا لكل خالجة من خلجات قلبه وروحه ·· من خلال المواقف الحياتية واليومية :

قد ادرك الفل شوقا في جوانحنا
فراح يرسل كالانسام نجوه

فقلت للوردة البيضاء والهفي
الى الشفاه الى ثغر ورياه

الى العرير على رأس يتوجه
الى العيون اضاءت في محياه

بنت الجنان رويدا واسمعي وتري
يوشوش القلب نشوانا بلقياه

انت الجمال وانت الحب اعشقه
انت دنيا وانت الخمر والله

فهو يضعنا امام عاطفة تأخذ موقفا وسطا ،لايحاول أن يدفعها الى الانفعال والتواتر والحدة كما يمنعها من التردي والسقوط وما ذلك الابفعل اللامبالاة التي تسيطر على فنه. فالقارىء لشعره . يشعر انه يريد أن يقول شيئا ما . الا أن سعة التدفق في النقل والتعبير لاتعطيه مجالا للتفكير في بلورة الاثر الفني المتكامل :

لاترسلي السهم في عينيك ملتهبا
يمزق الستر عن عيني والعجبا

لاتحرمي القلب من نور يعيش له
لاتتركي الحسن ياليلاي محتجبا

قد ذقت حبك نيرانا على كبدي
وذقت حبك طيفا حانيا حدبا

فكان اجمل مالاقيت من كرم
يزداد جودا اذا ما زدته طلبا

صوني على العمر قلبا انت جذوته
لولا هواك بهذا العمر مارغبا

اننا نشعر بوجود العالم الفني الرحب .. الواضح الابعاد والحدود الا أن الملامح الجمالية التي تستأثر الشاعر ، وتهيمن على عطائه المتدفق تمنعه من التأني والوقوف عند الصياغة الفنية .. فالعين النجلى .. والهدب والحالم... والذؤابة الحريرية الناعمة المترفة .. والشفاه الكرزية .. تسد بوجهه مغالق العمل الفني ، وتفتح كل الابواب المطلة على العالم الجمالي الرحب :

عيونك الخضر قد الهين عاطفتي
فهب قلبي مجنون الهوى طربا

من يزرع الجمر لا يجني سوى لهب
دعي شفاهك تجني من فمي اللهبا

ذؤابة التبر فوق الخد قد نسجت
جداول النور من شمس الضحى سكبا

الاهتمام بالصور الرقيقة المعبرة عن انوثة المرأة .. تشل بنية العمل الفني لديه .. ومع ذلك فان هذه البنية لم تكن على نسق واحد .. بل حملت التواتر المنفعل الى جانب الهدوء والانفعال مع اللامبالاة الا انها لم تخل من مرتكزات دلت على شاعريته المتفاوتة بمقدرات معطياتها . بفعل توزعها بين عدة فنون فيها الوصف والتسجيلية والمساجلة وانحصارها في المجال الذاتي ومع هذا التوزع كانت ظلال الجمال واضحة في لوحاته :

لاتطلقي النار سحر الهدب أردانا
حكاية الحب ترعى في حنايانا

اتقتلين .. ومن يتلو العياة على
ضفاف سحرك انغاما والعانا !! ؟

تالق النور في احداق ظامئة
تناشد القلب أن يرتاد غدرانا

نادى هواك ولم أملك مقاومة
فرفرف القلب نحو القلب جزلانا

ومع ان الحديث بسيط .. الا انه استطاع ان يحرك كوامن النفس من خلال مجموعة من الصور المتحركة العاقلة بالمعاني البسيطة ، فلا تشعر بالصنعة .. ولا تحس بالتكلف ... فهو لا يبحث عن معانيه بعث المنقب . كما لا ينتقي الصورة انتقاء المجرب فلا ينحت من صخر .. ولا يغرف من بحر .. وانما طوى شاعريته في بردة الموقف .. وهام في عالم الجمال المطلق فلم تفقد قيمها الانسانية :

ماذا يقول لنا التاريخ حين يرى
ما قد جنينا ولم نخجل ولم نهب

ألا يقول بأنا معشر غدر
نبني العواطف وفق الريح والسلب

ندير ظهرا لمن يقضي لصالحنا
ونتقي بخضوع سورة الغضب

العلم غيرنا والمال اتلفنا
والنفس تنزح من صدق الى كذب

وهذه المعاني نلاحظها ايضا في قصيدة اوحتها له حنظلة وبطيخة وجدهما في الصحراء وقد تشابهتا في الشكل والمنظر واللون واختلفتا في الجوهر والطعم فقال :

تشابه الشكل والالوان زاهيةً
حتى تساوت خطوط الطول والبقع

تجمع الشهد في احشـــاء واحـــــدة

واختها علقم كالعقد مجتمـــــــــع

والقلب مثل ربوع البيد مزرعـــــه

ويحصد الناس ما في القلب قد زرعوا

اياك من خدع الابصار يا ولـــــدي

فكم تزيـــا بثوب الفتنة البشـــــع

واسال فؤادك عن أبناء طينتـــــه

بين العناظل في يد الهوى رتعـــوا

فالقلب أصدق هاد في مجاهلنـــــا

وكل من خالفوه الرأي قد خدعـــوا

ألا تحمل هذه المعاني البسيطة اتجاها انسانيـــــا شموليا ؟ ونظرة واعية وواقعية الى الحياة المعقدة التـــي تشاكلت في مظاهرها واختلفت في جوهرها ..

أنها صورة بسيطة تؤكد شاعريته التي لو حـــاول الاهتمام والعناية بها لاستطاع ان يعطي اثارا متطـــورة ومتجاوزة للاشكال الكلاسيكية التي حصرت المعاناة في حدود ضيقة خنقت بعض الاثار .. بينما استطاع بعضهـــا ان يتجاوز هذه الحدود ويحلق بالشكل الكلاسيكي على مساحة فنية متطورة ومن ذلك قوله :

واقطف من عينيك وحبي كاننـــي

سكرت بخمر الله في جنة الخلـــد

ارى فيهما النعمى تهل وتنثنـــي

ارى فيهما الرحمن يهوى ولا يبدي

فيا لك من حب مقيم باضلعـــــي

فيمنعني النعمى وامنحه وجـــدي

وهبت الى نجل العيون قصائـــدي

وهبت الهوى روحي وهبت الصبا مجدي

ولا استطيع ان اترك عالم الشاعر قبل ان اقف امام تجربة وحيدة تجاوز فيها الشكل ونظمها معتمدا على شعر التفعيلة .. وهي قصيدة طويلة تحمل بعدا فنيا متجاوزا يقول منها :

وتبدأ قصـة الحب

نداء الهدب للهدب

حنين القلب للقلب

وأشرع في بناء العرش للحب العظيم

وتقفز عيني الولهـى الى الطرف السقيم

وتقرأ بالعيون جميع انغام الحسان

فتسحرني الاغانـي

وتغمرني الامانـي

واحلم بالجمال يرف في ظل التداني

اننا نشعر بكامل ابعاد العالم الفني في هذه القصيدة التي فتحت الحداثة امامه افاق الكلمة كما يسر له الوزن النفس الطويل وهيأت له الموسيقا فرصة التجانس في بنيـة العمل داخليا وخارجيا :

غيابك اخرس الانوار صيرها ظلاما

وبعدك يا ضياء العين مزق قلبي الظامىء حطاما

ويذكو الجمر في قلبي ويلتهب

وتبتعد الاماني ثم تحتجب

لماذا غاب سحر الهدب عن شبق العيون ؟

ايشعل برق فينا الهوى لهبا

ويلقينا الى وادي الشجون

اتجذبني الاماني يا رباب

لتلفحني الصحارى والعيباب

عالم رحب يمتد الى مساحة هذه القصيدة المتكاملة .. ولذلك كم كنت اتمنى الا يغنق معاناته في حدود ضيقة بل يطلق لها العنان ، ويفتح امامها كل الابواب المطلة على الحياة وليقل الاخرون ما شاؤوا مجددا .. متمردا .. فالمهم ان تتكامل ابعاد التجربة لتعطي مجمل دلالاتها الفنية .

ومهما قلنا في تجارب الشاعر تبقى عطاء فنيا خاصـا حمله في تجاربه المختلفة .. بوحا خاصا لم يعرف احضان الصحف وعتبات المجلات الادبية .

●● **محمد غازي التدمري**

اَكل البسكويت

قصة
محمد المجذوب

كان الوقت ضحى ، وقد اخذت الشمس تتسلق سفح الفضاء باتجاه القمة . غير ان اشعتها ضئيلة باردة لا تكاد تصل الى سطح الارض الا في مشقة ، لأن الجو قد بدأ يصحو في اعقاب ليلة ماطرة قارسة .. وعلى الطريق الممتد من حلب باتجاه (الباب) سيارة نصف حافلة مثقلة بركابها العشرين ، وقد ضاعف عناءها وبطأ سيرها ما على سطحها من اعباء غير قليلة تراكم بعضها فوق بعض ، مشدودة الى اطراف الحامل بالعديد من الاربطة المحكمة .. وقد اقعى في مؤخرة هذه الاعباء قروي لم يجد مكانا في داخل السيارة ، فرضي ان يمتطي صهوتها في مؤخرة الصناديق الخشبية واكياس الخيش . المعبأة بمختلف الامتعة والبضائع . فبدا في مكانه ذاك وكأنه حارس اقيم هناك لحمايتها . او ديدبان كلف مراقبة الابعاد من الجبال والاودية والحقول التي كانت تخيل لعينه وكأنها تتحرك هاربة في الاتجاه المعاكس ..

وتابعت السيارة الهرمة اندفاعها المتعب ، وهي ترسل انينها المرتفع ممزوجا بالمفرقعات الصادرة عن مصرف الدخان، كأنها طلقات بندقية شائخة .. وكان على القروي ان يستمتع بكل تلك الاصوات ، ويأخذ بنصيبه الالزامي من ذلك الدخان الذي لايكاد ينقطع ، فلا يملك ردا له الا بالسعال الابح ، يطلق معه مايعلق منه بحلقه وقصبته الهوائية ..

وانحنى القروي ــ قدور ــ قليلا يريد ان يغيّب انفه خلال الاكياس ليحميه بعض ذلك الدخان المزعج.. ولذه ما وجده هناك من الدفء ، فدفع وجهه اكثر الى الامام ، واستراحت نفسه لتلك الرائحة الدسمة التي واجهته من احد صناديق المقوي ، فلم يحاول ان يعود الى وضعه الاول ، بل آثر ان يستمر على هذه الحال الى ان تقف السيارة في ساحة قريته ..

وفجأة لامس سمع السائق صوت صفعات صادرة من اعلى السطح . ثم انتظم ذلك اسماع الركاب كلهم.. وكانت السيارة قد بدأت سيرها في منحدر يتعذر معه الوقوف العاجل، فلم يتمكن السائق من وقفها حتى انتهى الى وسطه ، وهناك شد على الكابح وجعل يصيح :

مالك ؟ .. ما تريد ؟!..

وسرعان ماجاءه الجواب من فوق ، قف اريد ان انزل لضرورة..

ــ من اجل ضرورتك تعطل السير اصبر قليلا ..

ــ لا استطيع .. ابدا .. ابدا .. لا استطيع ..

ــ ونحن لا نستطيع تعطيل السير من اجلك .. افهمت ؟..

ــ اذن القي بنفسي .. قلت لك قف .. او القي بنفسي !..

وارتفعت اصوات الركاب تصرخ بالسائق قف .. قف ولم يسعه الا ان يقف نزولا على اجماعهم ، وخشية ان ينفذ قدور تهديده ..

وبرشاقة النمر هبط القروي السلم الخلفي ، ودفع بنفسه الى جانب الطريق . ولم يطل به المقام سوى بضع دقائق ، فعاد الى مكانه وهو يدعو للسائق ويقول « لو لم تقف لانتهت حياتي .. » .

واستأنفت السيارة مسيرتها في بطء .. ثم جعلت تشتد شيئا فشيئا ولكنها ماكادت تسترد نشاطها الاول حتى انطلقت تلك الصفعات كرة اخرى .. واتبعها صوت القروي صائحا : قف .. قف اكاد اموت..

وضاق صدر السائق والركاب جميعا بهذا الازعاج، فما يستطيعون ان يصدقوا كلام القروي ، وهو الذي لم يمض على استقراره ربع ساعة .. وهتف بعضهم « لا .. لاتقف .. هذا الرجل يريد ان يؤخرنا

ابن الرومي

بقلم
مدحت عكاش

الوصف في شعر ابن الرومي

ان لكل شاعر هوى ينزع اليه ، ومذهبا تطمئن اليه نفسه فتتجلى فيه عبقريته ويشتهر به ، ولعل هذا المذهب يولد مع الشاعر ويصبح شيئا من نفسه . لذلك قيل أن الشاعر يولد شاعرا . وقد اختص كل شاعر بفن أودع فيه بلاغته وشاعريته حتى صار يعرف به . فقد قيل عن أبي تمام أنه مداحة نواحة ، والبحتري واصف جؤذر والمتنبي قائد عسكر ، وقد قيل ان اشعر الناس امرؤ القيس اذا ركب ، والنابغة اذا رهب ، وزهير اذا رغب . فهذه الاقوال وأشباهها تظهر ما لكل شاعر من فن كرس له شاعريته وأظهر فيه ميوله التي تتجلى فيها احساساته ، ويكون في هذا النوع أبرع منه في غيره لان ميله اليه أكثر وغايته فيه أشد .

وابن الرومي كغيره من الشعراء المجودين ينزع الى غرضين من أغراض الشعر تظهر فيهما ميوله الصادقة وهما الهجاء والوصف وليس هذا معناه انه قصر في باقي أغراض الشعر أو أسف بها بل أن عبقريته وبراعته تجلت بهما أكثر من غيرهما . ولعل مصدر اجادة ابن الرومي في الهجاء هو اجادته في الوصف وهجاؤه المشتمل على الوصف والتصوير أجود في الغالب من هجائه الخالي منهما . ولم يقتصر على استعمال الوصف في هجائه بل قلما نرى قصيدة لابن الرومي لا ينزع فيها الى الوصف ، فمدائحه ومراثيه وغزله وتشبيبه هذه الفنون كلها سيطرت عليها نزعته الى الوصف فظهرت فيها جلية واضحة ، ولا غرابة بعد هذا أن نقول عنه أنه وصاف ماهر وملون بارع تكاد تكون قصائده في الوصف صورا زيتية لما يصف ، قال من قصيدة يصف بها الشمس عند الاصيل :

وقد رنقت شمس الاصيل ونفضت
على الافق الغربي ورسا مزعزعا
وودعت الدنيا لتقضي نحبها
وشول باقي عمرها فتشعشعا
ولاحظت النوار وهي مريضة
وقد وضعت خدا على الارض اضرعا
كما لاحظت عواده عين مدنف
توجع من أوصا به ما توجعا
وظلت عيون النور تخضل بالندى
كما اغرورقت عين الشجي لتدمعا
يراعينها صورا اليها روانيا
ويلحظن الحاظا من الشجو خشعا
وبين أغضاء الفراق عليهما
كأنهما خلا صفاء تودعا
وقد ضربت في خضرة الروض صفرة
من الشمس فاخضر اخضرارا مشعشعا
واذكى نسيم الروض ريعان ظله
وغنى مغني الطير فيها وسجعا

ولن نجد في هذه القصيدة غير رنة طرب من نفس أفعمتها الطبيعة بمناظرها الساحرة فجاءت صورة ناطقة تتجلى فيها روعة الشمس وهي تميل الى الغروب تودع الدنيا وقد أسندت خدها الى الارض ، ترسل البقية الباقية في شعاعها ناعسة تساورها الاسقام كعين المريض تنظر الى الزائرين نظرة المودع المحزون . ولننظر الى قوله :

وظلت عيون النور تخضل بالندى
كما اغرورقت عين الشجي لتدمعا

فهل أجمل من هذا التشبيه الذي يجمع بين عين الشجي الدامعة وعيون النور المخضلة بالندى . وهل أجمل من هذا المنظر الرائع الذي تركته أشعة الشمس الصفراء فوق الاعشاب فبرزت بلونها الشعشاع تأخذ

الالباب وتسحر الافئدة •

أفليست هذه العين التي ينظر بها ابن الرومي عين مصور بارع وملونماهر تركت الطبيعة في نفسه بهجتها ورونقها فكانت قصائده صورا زيتية تنطق بالجمال وتنم عن ذوق يتجلى في انتقاء الالوان وتناسبها • ولم يكتف بوصف الطبيعة وما حوت بل تعداه الى ما هو أدق منه فقد وصف الاصوات الجميلة لافتتانه بها قال في وحيد المغنية :

يا خليلي تيمتني وحيد
ففؤادي بها معنى عميد

غادة زانها من الغصن قد
ومن الظبي مقلتان وجيد
وزهاها من فرعها ومن الخد
ين ذاك السواد والتوريد
ظبية تسكن القلوب وترعا
ها وقمرية لها تغريد
مد في شأو صوتها نفس كاف
كانفاس عاشقيها مديد
وارق الدلال والغنج منه
وبراه الشجا فكاد يبيد
تتغنى كأنها لا تغني
من سكون الاوصالوهي تجيد
لاتراها هناك تجحظ عين
لك منها ولا يدر وريد
من هدو وليس فيه انقطاع
وسجو وما به تبليد
ليت شعري اذا أدام اليها
كرة الطرف مبديء ومعيد
أهي شيء لا تسأم العين منه
أم لها كل ساعة تجديد

بل هي العيش لا يزال متى استم
ض يملي غرائبا ويفيد

عيبها أنها اذا غنت الاحرار
ظلوا وهم لديها عبيد

فبالاضافة الى ما رأيناه من دقة النظر عند ابن الرومي في ادراك الاشياء وتمييز ألوانها ، نجد له الآن سمعا مرهفا يتبين الصوت الناعم ويقدسه ، ويجعلنا تتصور هذه المغنية الحسناء تمايس بقوامها الاهيف تنظر الى السامعين بعيون ساحرة، وتتلفت بجيد كجيد الريم ، تتغنى بصوتها الساحر فتأخذ بمجامع القلوب ، هادئة الاوصال ، رزينة متزنة تضفي من دلالها على صوتها فتصبح فتنة الناظر وعزاء لكل محزون• وتريك في كل فترة من سحرها عجبا تهفو اليها الافئدةولاتمل مرآها العيون ، وقد استرقت الاحرار فأصبحوا عبيد صوتها وجمالها •

هذا وأجملمانراه عند سماع هذه القصائد هذه الصور المتحركة التي انفرد بها ابن الرومي في شعره • فهو بالاضافة الى ما أجاد به من وصف المناظر الخلابة والالوان الساحرة والاصوات الجميلة ، نرىله صورا ناطقة متحركة يقدمها لنا فنكاد نرى حركاتها ونسمع أصواتها • قال يصف خبازا :

ان أنس لا أنس خبازا مررت به
يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة
وبين رؤيتها كوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة
في لجة الماء يلقي فيه بالحجر

ولايصعب علينا بعد قراءة هذه الابيات أن نتخيل خبازا يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر ، يحيل العجين الى أقراص كوراء بسرعة تماثل سرعة دائرة رسمتها حصاة ألقيت على صفحة ماء راكد ، وهل يصعب علينا أن نتصور قالي الزلابية بعد أن قال فيه :

رأيته سحرا يقلي زلابية
في رقة القشر والتجويف كالقصب

يلقي العجين لجينـا مـن أنامله
فيـتحيل شبابيكا مـن الذهب

ولئن قيل عن الشعر أنه كلام يصور أو صـور تتكلم فليس أدل على هذا القول من تلك القصائد التي أودع فيهـا ابن الرومي براعتـه في عرض الموصوفات حتى احسن وأجاد وبلغ فيها من الاتقان حظا عظيمـا قال يصف أحدب :

قصرت اخادعه وطـال قذاله
فكأنه متربص أن يصفعـا
وكأنمـا صفعت قفـاه مـرة
وأحس ثانيـة لهـا فتجمعـا

وما أظن الا أن باستطاعة كل انسان أن يصـور الآن احدب ولو لم يره في حياته : فمن السهل أن تتخيل هذا المخلوق الذي قصرت عروق رقبته وطال عظـم كتفيه كمن صفعت قفاه وأحس بالصفعة الثانية فتجمع وانكمش على نفسه ليدرأ عن رقبته الشر والالم •

وأمثال هذه الصور في شعـر ابن الرومي كثير ، ومن أجمل قصائده التي يسمعنا فيها هديل الحمائـم وخفيف الاغصان وتمايـها قوله يصف روضة :

حيتك عنـا شمال طـاف طائفها
بجنـة نفحت روحـا وريحانـا
هبت سحيرا ، فناجى الغصن صاحبه
سرا بها ، وتداعى الطير اعلانـا
ورق تغني على خضـر مهدلـة
تسمو بها ، وتمس الارض أحيانا
تخال طائرها نشوان من طـرب
والغصن من هزه عطفيه نشوانـا

ولم يقتصر وصفه على الاشياء المرئيـة فحسب بل تعداه الى وصف الاشياء غير المرئية كالحزن والفرح والغم والهم والالم ومواقف اللقاء والفـراق ، وهـو الذي نظر الى الحياة نظـرة المتأمل الفاحص وعرف ما تنطوي عليه الحياة من مصائب وأحزان وما ينطوي عليه الاحياء من شرور وضغائن ، يعـرف كيف يصور خلجات نفوس الشباب والشيب ، والحـاد والمفترين والجبناء والضعفاء كل ذلك باسلوب يستهوي الافئدة ويصبي اليه النفوس • قـال يصف حرقته على فقـد أصدقائـه :

لم يسترح من لـه عين مؤرقـة
وكيف يعرف طعم الراحة الارق
محمد وعلي فتتـا كبـدي
اذا ذكرتهمـا والعيس تنطلـق
خلال حـل بقلبي مـن فراقهما
ما كنت أخشى عليه قبل نفترق
قلب رقيـق تلظت في جوانبـه
نـار الصبابة حتى كـاد يحترق
وددت لـو تم لي حجي بقربهما
(ما كل ما تشتهيه النفس يتفق)

وقال في حب الوطن :

وحبب أوطـان الرجال اليهم
مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهـم ذكرتهم
عهود الصبا فيهـا فحنوا لذلكا

يتضح من كل ما تقدم أن أجلى مظهر تتمثل فيه عبقرية ابن الرومي وتفوقه هو الوصف، وخير قصائده وأجودها من مدح ورثاء وتشبيب وغزل وعتاب وهجاء هي التي استعمل فيها الوصف والتصوير ذلك الفـن الذي فطر عليه وجبلت عليه شاعريته •

الرثاء في شعر ابن الرومي

الرثاء الصادق لا يخرج الا من نفس أفعمتها الآلام والاحزان ، وتوالت عليهـا مصائب الدهر واحداثه • وأكثر ما يبلغ الحزن مداه في النفوس الشاعرة المرهفة الاحساس فيذيبها لوعة وأسى •

فابن الرومي الذي دق احساسه ورقت عاطفته ، مر بـسلسلة من المصائب المتتالية ، حرمته طعـم الراحة وتركته يشتاق الهناءة في عمره ولو الى حين • فالايام التي جارت عليه وألبسته لباس الفقر والفاقة والعوز ،

وحرمته من متع الدنيا بعد ان تركته يتحرق بحرقة اليأس والحرمان، فقد أبت أن تقف منه عند هذا الحد بل تعدته الى حرمانه أغلى ما يحصل عليه المرء في حياته حرمته من بنيه وآله وذويه ، فبكاهم بدماء قلبه قبل أن تبكيهم عيناه وكان رثاؤه لهم قطعا دامية من كبد دامية تركتها الايام مزقا مبعثرة في زوايا القبور • ولقد صبر حتى نفد صبره ووقف يصفهم وهم يلفظون أنفاسهم الاخيرة فكان شعره نفثات محزون وأنات مصدور وصورا صادقة لنفس أحرقتها اللوعة وصهرتها الآلام • قال يرثي ابنه الاوسط ويصفه وهو على فراش الموت :

توخى حمام الموت اوسط صبيتي
فللـــه كيف اختـار واسطـة العقد
طواه الردى عني فاضحى مزاره
بعيـدا على قـرب قريبـا على بعـد
لقد انجزت فيه المنايا وعيدها
واخلفت الامـال ما كان مـن وعـد
لقد قل بين المهد واللحد لبثه
فلم ينس عهد المهد اذ ضم في اللحد
الح عليه النزف حتى احاله
الى صفرة الجادي عن حمرة الورد
وظل على الايدي تساقط نفسه
ويذوى كما يذوي القضيب من الرند
فيالك من نفس تساقط أنفسا
تساقط در مـن نظـام بـلا عقـد
واولادنـا مثل الجـوارح ايهـا
فقدنـاه ، كـان الفاجـع البين الفقـد
لكل مكان لايسد اختلاله
مكان اخيه من جزوع ولا جلـد

ولنستمع كيف يناجي فلذة كبده بهذه العبارات الابوية الناعمة تشفعها العبرات الحرى المتدفقة قال:

أريحانة العينين والانف والحشا
ألا ليت شعري هـل تغيرت عن عهـدي
سأسقيك ماء العين ــ ما اسعدت به ــ
وان كانت السـقيا مـن العين لاتجـدي
كأني ما استمتعت منك بضمة
ولا شمـة في ملعب لـك او مهـد
آلام لما أبدي عليك من الاسى
واني لاخفي منك اضعاف ما ابـدي

فاي اب يستطيع ان يصور حزنه والمه لفقد ولده بابلغ مما صوره ابن الرومي ؟ بل اي عين اسخى مـن هذه العين التي بكت ريحانتها بعد ان طواه الردى وانجزت المنايا وعيدها فيه !

ولننظـر الى هذا الطفل وقد الح عليه النـزف واحال لون وجنتيـه الى الصفارة بعد ان كانتا بلون الورد كيف يذوي القضيب الاخضر الرطيب، وتتساقط نفسه تباعا تودع الدنيا وتلقي آخـر نظـرة على هذا الاب المسكين الذي ثكل اولاده وكان يـراهم مثل الجوارح ان فقد احدها لايسد الآخر مكانه ، هـذا الاب الذي آلى على نفسه ان يسقي تراب ابنه بدموع عينيه ــ مادامت في عينيـه الـدموع ــ ويقول بان ما لوعة وحزن ان هو الا اليسير مما يكنه بين اظهره من جوانحه من اسى يذيب حشاه كلما تذكر مداعبته لهذا الصغير الغالي في مهده أو في لعبه •

ونحن اذا أثرت فينا عباراتـه حتى اضطرنا الى مشاركته في آلامه ، فما ذلك الا لانه عرف كيف يصور هذه الآلام التي تصدر عن قلب مفجوع اثخنته الليالي بجراحاتها • واجادته في رثـاء ابنه الاوسط لاتقل عن اجادتـه في رثاء ولديه الاول والثالث فقـد فجع بهم جميعا • قال في رثاء الاول :

حماه الكرى ، هم سرى فتأوبا
فبات يراعي النجـم حتى تصـوبـا
اعينيَّ جودا لي فقد جدت للثرى
باكثـر ممـا تمنعـان واطيبـا
بني الذي اهديته امس للثرى
فللـه مـا اقـوى قناتي واصلبـا

وقال في رثاء ولده الثالث :

ابني انك والعزاء معا
بالامس لف عليكما كفـن
تالله لاتنفـك لـي شجنـا
يفنى الـزمـان وانت لي شجـن
اولادنـا انتـم لنا فتـن
وتفـارقـون ، فانتـم محـن

وتمتاز مراثيه بالرغم من قلتها وقصـرها ــ على غير عادته ــ بمتانة الاسلوب وصدق العاطفة وتصوير لواعج النفـس وما يضطرب بها مـن حـزن واسى • وأوضح ما تظهر هذه المميزات في رثائه لاولاده واقاربه قال يرثي اخاه :

وتـسليني الايام ، لا ان لوعتي
ولا حـزني كالشيء ينـسى فيقرب
ولكن كفاني مسليا ومعزيا
بأن المـدى بيني وبينك يقرب

ولم يقتصـر في مراثيـه على الابنـاء والاهل والاصحاب ، بل تعدى ذلك الى رثاء البلدان فقد رثى مدينة البصرة يوم اقتحمهـا الزنج سنـة ٢٥٧ هجرية بقيادة علي ابن ابان : ووصف ما اتوا به من صنـوف القسوة والوحشية وتقتيل الآمنين وحـرق بيوتهـم وذبح الاطفال وانتهاك الحرمات ، قال :

ذاد عـن مقلتي لذيذ المنـام
شغلها عنه بالدمـوع السجـام
أي نوم مـن بعـد ما حل بالبـ
ـرة ، مـا حـل مـن هنـات عظـام
أي نوم من بعـد ما انتهـك الـز
نـج جهـارا محـارم الاسـلام
ان هـذا مـن الامور لأمـر
كـاد ان لايكـون في الاوهـام

فهو يذكر في مطلع هذه القصيدة كيف ساور الارق عينيه اللتين شغلتهما الدموع فحرمتهـا لذة النـوم والرقاد • وكيف يأتيه النوم بعد ان رأى تلك المصائب التي رانت على البصرة بما أقدم عليه هؤلاء الزنوج من انتهاك الحرمات جهارا لاتأخذهم بالمحصنات نخوة ولا يردعهم ضمـير ! ولنستمع الى الزفرات الحرّى التي يرسلها متلهفا متألما على مدينة الاسلام والمسلمين قال:

اقدم الخائن اللعين عليها
وعلى الله ايمـا اقـدام
وتـسمى بغير حق اماما
لا رعـــى الله هديه من امام
لهف نفسي عليك ابتها البـ
ـرة ، لهفا كمثل لهب الضـرام
لهف نفسي عليك يا قبة الاسـ
ـلام لهفـا يطـول منـه غرامي

وينتقل الى تصوير الفاجعة ، ويعرض علينا بعض مشاهد هذه المأساة المروعة :

بينما أهلها باحسن حال
اذ رماهم عبيدهم باصطـلام
دخلوها كأنهم قطع اللي
ـل اذ راح مـدلهم الظـلام
كم اغصوا من شارب بشراب
كم اغصـوا مـن طاعـم بطعـام
كم اخ قد رأى اخاه صريعا
ترب الخـد بين صرعى كـرام
كم اب قد رأى عزيز بنيه
وهو يعلى بصـارم صمصـام
كم رضيع هناك قد فطموه
بشبا السيف قبل وقت الفطـام
كم فتاة مصونة قد سبوها
بـارزا وجههـا بغـير لثـام
صبحوهم فكابد القوم منهم
طـول يـوم كأنـه الف عـام

فأي مشهد آلم للنفس مـن مشهـد هـؤلاء الوحوش اصحاب الوجوه السود ، يقتحمون هذا البلد الآمن على حين غرة فيذهلون أهله عن الشراب والطعام،

، ويردون الشباب صرعى يتخبطون بدمائهم بعـد ان تعفرت وجوههم بالتراب ، ويعملون سهامهم بالاطفال والرضع امام اعين آبائهم وامهاتهم ، ويسبـون ربات الحجال والمخدرات من النساء عاريات بارزات الوجوه.

ثم لننظر كيف يعود الى نفسه ـ بعد عرض هذه المشاهد ـ فيصور لواعجها والامها . قال :

ما تذكرت ما اتى الزنج الا
اضرم القـلب ايـا اضرام
ما تذكرت ما اتي الزنج الا
اوجـعتني مـرارة الارغـام
رب بيت هناك قد خربوه
كان مأوى الضعـاف والايتـام
رب قصر هناك قد دخلوه
كان من قبل ذاك صعب المـرام
رب ذي نعمة هناك ومال
تركـوه محالف الاعـدام
رب قوم باتوا باجمع شمل
تركـوا شملهـم بغير نظـام

افلا نلمح من خلال هـذه الابيـات نفـا دق احساسها ورقت عواطفها فـالت حزنا وألما أمام هـذه المشاهد الدامية التي حزت في نفس ابن الرومي فجاء بها صورا تـثير آلام النفوس واحزانها ! ومرائيـه كلها تمتاز ببعدها عن التكلف والصنعة وتتجلى فيهـا طبعه السـليم وعاطفته الصادقة التي لاتعـرف التملق والتزلف .

الهجاء في شعر ابن الرومي

رأينا كيف ان ابن الرومي كان ينظر الى الـدنيا بمنظار اسود بعد ان كـره الحياة وبرم بالاحياء وساء ظنه بهم فعاش بهم قليل المـداراة للناس فاقد المجاملة في معاشرتهم ، لا يثبت على مودة ولا يـدوم على وفاء ، وكثيرا ما كان يسأم من اصدقائه ومحبيه ـ على قلتهم ـ يضاف الى ذلك فقره المدقع الذي لزمه طوال حياته ، وهذا التـأوم الذي بلغ به درجة الجنون او كـاد . هذه العوامل كلهـا افعمت قلبه بالحقد واثارت ثائرة النقمة بين جوانحه فانفجرت على لسانه هجاء مقـذعا طالما نهش به اعراض الناس ومس به كرامتهم .

لذا كثيرا ما كان الناس يتحاشونه خوف لسانـه ولسعاته وهجاؤه ـ على كثرته يتصف بالقـوة والفحش ويندر ان نجد له هجاء خفيفا ، يترك بعـده مجالا للصلح الا ان هـذا الهجاء يتصف من حيث موضوعه الى نوعين عام هاجم به الناس كلهم لا يستثني منهم احد ، (وخاصة الاغنياء والمثرين) وهذا النوع في شعره قليل اما النـوع الثاني فهو الخاص الذي هاجم به الافراد ، وما اكثر ما هاجم الافراد في حياته . وندر من اصدقائه ومعارفه من تخلص من لسـعات لسانه ، حتى انه لم يعف نفسه من هجائها ، قال يصف صورته:

من كان يبكي الشباب من جزع
فلـست ابـكي عليـه مـن جـزع
فان وجهي ـ بقبح صورته ـ
مـازال بي كالمـشيب والصلـع
أشبّ ما كنت قط اهرما
كنت : فـبحان خالق البـدع
اذا اخذت المرآة سلفني
وجهي ـ ومامت ـ هول مطلعي
شغفت بالخرد الحـان وما
يصلـح وجهي الا لـذي ورع
كي يعبد الله في الفلاة ، ولا
يشهد فيه مـساجد الجمع

الا ان هذا الهجاء اذا خلا من الاقذاع فما ذلك الا لانه قاله في نفسه . وما عساه ان يقول غير انه دميـم المنظر يدعو وجهه الناس الى الـزهد والتقشف لسوء منظره ، وقبح طلعته . ولكـن اذا قرأنا هجاءه في غيره وجدنا ان كل قصيدة تـكاد تـكون معجمـا لالفاظ الشتائم والسباب قال يهجو أحد أصحاب اللي الطويلة:

ان تطل لحية عليك وتعرض
فالمخـالي معـروفـة للحـصـير
علق الله في عذاريك مخلا
ة ولـكنهـا بغـير شعـير
لو غدا امرها اليّ لطارت
في مهب الـرياح كل مطير

افلا ترى ان في تشبية اللحية بالمخلاة شيئا مـن الجدة والطرافة ؟ واجمل من ذلك هذا التمني منـه ان يعود اليه امر هذه اللحية ليتركها ندفا تتخاطفها الرياح.

وتشبيه الناس بالحصير عنده كثيرا . قال يهجو أبا سليمان المغني :

ابو سليمان لاترضي طريقته
لافي غنـاء ولا تعليـم صبيـان
عواء كلب على اوتار مندفة
في قبح قرد ، وفي استكبار هامان
وتحسب العين فكيه .. اذا اختلفا
عنـد التنغـم فـكي بغـل طحـان

ولنر بعـد هذا كيف يعمـد الى انتهاك اعراض الناس بعد ان يصفهم بالبلادة والبهم ويصمهم بـكل ما يوصم به الانسان . قال يهجو الجعفري :

خذ ابا جعفر مغبة جرمك
واجن ما اثمرت سفاهة علمك
ما تعرضت لي ، وجدك حتى
قرن الله كل نحـس بنجمـك
لست عندي ــ ان عبت شعري ملوما
لـك عـذر لـدي في ضيـق علمـك
لقريضي (يا ابن الزواني) معان
قصرت ــ دونها ــ مـذاهب فهمك

افتخرج كلمة (ابن الزواني) الا من رجل لا يريد بعد هذا الهجاء صلحا ، او رجل اولع باتهاك الاعراض والحرمات ؟ وله شعر اقذع من هذا الامر وقصيدته في ابن بوران دليل قاطع على سلاطة لسانه اذ استعمل فيها من الالفاظ البذيئة ما يتورع الانسان عن ذكره . قال منها ــ وهذا اخف ما قال ــ :

أفحش القذف والهجاء لبورا
ن ظهـور كالرجم للمـرجـوم
كيف لاتسقط السماء على الار
ض ، وترمي مـن اجلها بالرجـوم
كثرت موبقات بوران ، حتى
ضاق عنهـا عفو الغفـور الرحيـم
يا ابن بوران مانجوت من الوأ
د لخـير ، لكن لشـر عظيم
لو رآك الرجـال نيئا نفيسا
كثرت فيك هنبثات الخصوم
كيف ندعوهم لآبائهم ربـي !
وفيهم أمثـال هـذا الزنيم
كل فحل أبوك ، عدلا من الله
وعيسى بـلا أب كاليتيـم
شمل الناس عـدل أمك حتى
سار فيهم ، كسير جور سدوم

وله غير هذه كثـير من الهجاء المقذع الـذي استهلك أكبر قسم من ديوانه . الا أن هذا الهجاء على اقذاعه وشدة وطأته على الناس يمتاز بسهولة تعابيره وبعـده عن غريب الكلام شـأن ابن الرومي في أكثر قصائده . وطبع ابن الرومي أكثر مايتجلى بهذا النوع من الشعر الذي فطر عليه حتى أصبح شيئا من نفسه .

هـذا ولئن اقتصرنا في بحث فنـون الشعر على الوصف والرثاء والهجاء ، فليس هذا معناه أنه قصـر في باقي الفنون ، الا أنه كان في هذه أظهر حتى لم يلحق بغباره في هذا المضمار شاعر . ويعود سبب ذلـك لاسباب نفسية جمعتها شخصيته الفـذة جعلته مميزا عن جميع شعراء عصره .

● الكاتب الفرنسي الشهير جول فيرن اقامت مدينة نانت الفرنسية ـ بمناسبة مرور ١٥٠ عاما على وفاته ـ متحفا يضم الاعمال الادبية التي كتبها جول فيرن والادوات التي كان يستخدمها . كما ضم المتحف الاعمال النقدية التي كتبت عنه ، وصالة عرض اعمال الكاتب الادبية وافلام عن حياة الفنان جول فيرن ـ هو مخترع الروايات العالمية وقد عاش في الفترة بين عامي ١٨٢٨ ـ ١٩٠٥ ومن أشهر اعماله ـ من الارض الى القمر ـ وعشرين الف فرسخ تحت الماء ـ ..

● حصل الاديب الروائي الكندر تشاكوفكي على جائزة لينين لهذا العام لروايته ـ الحصار ـ وتعتبر هذه الجائزة في الاتحاد السوفياتي اعلى جائزة للاداب . الرواية ترصد ما حدث في الحرب العالمية الثانية وحصار المدينة لينينغراد ، والكاتب الكندر اليوم يرأس تحرير مجلة لاتيرانورنايا نمازيتا .

● ـ رباعية الموت والجنون ـ مجموعة قصص لمحمود موعد صدرت في دمشق حديثا عن مطابع دار الانوار وبمعاونة اتحاد الكتاب العرب ، قدم للمجموعة الدكتور حسام الخطيب ، والاهداء الى : الانسان العربي الفلسطيني حتى يخرج من الكابوس ـ المجموعة عمل واعد ، صمم الغلاف ـ حسين حمزة الفنان وكاتب الاغاني الشعبية المعروف .

● بمناسبة مرور ـ ٣٠٠ ـ عام على عمر الاوبرا في هامبورغ يحتفل هذا العام في هامبورغ بهذه المناسبة فلقد تم افتتاحها لاول مرة يوم الثاني من كانون الثاني علم ١٦٧٨ م حيث عرضت المرحية ـ حواء وآدم ـ او ـ الانسان الذي خلق فهوى ثم استقام ـ ليوهان نايله ..

● ميخائيل نعيمة: الاديب الشاعر الكاتب والفيلسوف المشهور سيكرم عالميا في اول ايار القادم من السنة القادمة ـ لبلوغه عام التسعين . .

ونعيمة ، صاحب الحضور الابداعي والثقافي في نهضة القرن العشرين .. اديب مهجري ومفيم . شاعر وقاص ومسرحي وكاتب مقالة من الطراز الاول، مفكر وفيلسوف ـ كان صديق المرحوم جبران خليل جبران .

ـ التكريم مبادرة رائعة من المسؤولين والحكوميين والهيئات الثقافية والاجتماعية في لبنان الشقيق .

ـ وميخائيل نعيمة من مواليد اواخر القرن التاسع عشر حيث ولد في ١٧ـ١٠ـ١٨٨٩ في لبنان ..

● ـ فنون الخط والقرآن ـ للمؤلف البريطاني غاي اينون، صدر في لندن ، والكتاب تحفة فنية اشرف على تمويلها واصدارها مجلس المؤتمر العالمي الاسلامي في لندن ـ تباع النسخة الواحدة بعشرين جنيها استرلينيا والكتاب يقع في ٢٤٢ صفحة وفيه ١١٤ لوحة فنية .

● فازت رواية ـ الحب الاخر ـ للكاتب الفرنسي ميشيل بوتيل ـ منشورات مركوردو فرانس ـ بجائزة مديسيس الشهيرة ، والرواية من اجمل الروايات التي كتبت في السنوات الاخيرة ..

● رواية ـ الكاتب الفرنسي ديديه دوكوان ـ منشورات سوي ـ بجائزة غونكو الشهيرة ـ اسم الرواية ـ جون الجحيم ـ يديه ـ ٢٣ ـ سنة يضمنا في روايته امام مشاهد مدهشة لمدينة نيويورك التي بلغت ذروة الحضارة الحديثة ، ولكنها عاصمة التعدي والمفارقات والصخب في العالم .

● ـ اطفال في المدينة ـ عدد خاص من مجلة اوترومان ـ رئيس التحرير هنري دوجييه ـ فرنسا ـ يطرح العدد مشكلة حرية التعبير لدى الاطفال .

ولقد جاء العدد الخاص هذا بعد سلسلة من المنشورات تتضمن ادب الاطفال ومشكلاتهم النفسية والتفكيرية والاجتماعية ..

● في باريس اقيم مهرجان الشعر الفرنسي ، والشعراء في فرنسا وفي الدول الناطقة باللغة الفرنسية قدموا نماذج من شعرهم .. عمدة باريس ـ جاك شيراك ـ قدم جائزة لاحسن شاعرة واخرى لافضل الشعراء من البلدان الاخرى ..

● في سان باولو تألقت ـ عصبة الادب العربي ـ الرئيس : نواف حردان ، النائب : شكيب نفي الدين امين السر بالبرتغالية باسل فرحات، امين السر بالعربية : كمال قبيس ، خازن اول : نبيه سلامة ، خازن ثاني : شفيق عبد الخالق ، للاعلام والنشر : يوسف مسمار .

● ـ بواكير التاليف المسرحي في موريار ـ كتاب للاستاذ عادل ابو شنب صدر عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق .

● اتحاد المؤرخين العرب يقيم مهرجانا للتراث العربي الاندلسي اواخر عام ١٩٧٩ وذلك في عواصم الدولة الاسلامية في اسبانيا ـ قرطبة وغرناطة واشبيلية ..

● الجزء الثاني من الاعمال الشعرية الكاملة للشاعر الفرنسي ـ جون بيرس ـ صدر حديثا ـ ترجمة انيس ـ علي احمد سعيد ـ عنوان الجزء المذكور من هذه الاعمال ـ منفى وقصائد اخرى ـ الجزء الاول كان بعنوان ـ منارات ـ .

● ـ فارس علي حصان من خشب ـ مجموعة قصصية للكاتب الشاب عبده جبر ـ صدرت حديثا في القاهرة .

● الشعراء الشاميون ، تأليف المرحوم خليل مردم بك رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق سابقا ، سوف يصدر قريبا عن دار صادر في بيروت بعناية ابنة الشاعر عدنان مردم بك .

فلنبدع أدباً وفناً لائقين بعصر

تشـــو ليمـــا

اليوم ، أود أن أدلي ببضع ملاحظات قليلة لكم حـــول مشكلة تطوير أدبنا وفننا •

ان أدبنا وفننا لهما تقاليد تاريخية طويلة • فقـد كان لدينا منذ أقدم العصـور أغان ورقصات جميلـة • وبعـد التحرير حقق أدبنا وفننا تقدما سريعا • وهما الآن يزدهران بشكل رائع • فاليوم ، يستحق فننا بجدارة واعجـــاب « الفن الذهبي » •

ولقد بذل كتابنا وفناننا في السنوات الماضية قـــدرا كبيرا من العمل • وأنا أقدر كثيرا الجهود التي بذلتموها في كفاحكم المتفاني لتطوير فننا القومي الذي ظل تحت أقدام الغزاة لفترة طويلة الى ما هو عليه اليوم •

غير أننا لا نستطيع أن نكتفي بالنجاحات التي أحرزناها بالفعل • فحياتنا تتقدم بسرعة • والشعب يطالب بفن أكثر جمالا وديناميكية •

فأدبنا وفننا يتخلفان اليـوم وراء الحيـاة النامية لشعبنا ، وعاجزان عن مجاراة مطالبه •

والناس على صواب عندما يســمون عصـــرنا عصر التشوليما • وهم يعتبرون أنفسهم سعداء سعادة لا حد لها اذ يعيشون ويعملون في هذا العصر العظيم •

ونحن نكافح في كافة مجالات البناء الاشتراكي بروح السير مائة خطوة بينما الغير يسيرون عشر خطوات ، والجري مائة ري بينما يجري غيرنا عشرة • حقا ، ان روح التشموليا قد أصبحت عقيدة الحياة لشعبنا •

وبعفاظنا على تقدم التشوليما المجيدة لعدة سنوات، فاننا قد بنينا قاعدة التصنيع الاشتراكي • وأرسينا اسا وطيدة لبناء بلد اشتراكي غني وقوي • ومع اننا لا نستطيع حتى الآن القول اننا نعيش في بحبوحة ، فان شعبنا قـد تحرر من القلق وحل هموم الغذاء والكساء والاسكان، وكل شخص يتمتع بحياة سعيدة رغدة • ومع الوقت الذي نكون فيه قد استجمعنا قوانا مرة اخرى وانجزنا خطة السنوات السبع ، ستكون بلادنا قد أصبحت دولة اشتراكية صناعية متقدمة ، وسترتفع مستويات معيشة شعبنا بشكل مؤثـــر ان منجزاتنا عظيمة • ولدينا مستقبل مشرق امامنا •

وبالطبع ، فان أدبنا وفننا يجب أن يمثلا بقوة هـذه الحياة العظيمة الخلاقة لشعبنا المنطلق للامام بروح التشوليما ان أدبنا وفننا يجب أن يصورا الحياة الحافلة والكفـــاح البطولي لشعب عصر التشوليما ، وأن يعبرا بحيوية عـن آماله ورغباته •

غير ان الادب والفن ، لاسفنا ، عاجزان عن أن يعكسا بصدق روح عصرنا ، وتقديم صورة حية لعواطف وتطلعات بناة الاشتراكية •

فأول كل شيء ، لا يوجد سوى عدد صغير جدا مـــن الاعمال القائمة على أساس الحياة اليومية النابضة لشعبنا• فالاوبرا التقليدية ـ قصة تشون هيانغ ـ مرضية جـدا ، وكذلك مسرحية الاميرال لي سـون سـين • فنحن ينبغي بالتأكيد أن تكون لدينا معرفة جيدة بماضينا• ولكن ما نريد بالحاح أشد هو الحاضر أكثر من الماضي • وحتـى ونحـن نعالج الماضي ، فانيا يجب ان نبدأ بالموضوعات المرتبطـة مباشرة بالكفاح الثوري لشعبنا •

ومن أجل التربية بالتقاليد الثورية والتربية الطبقية يجب أن نواصل ابداع كثير من الأعمال التي تمثل المعركة المتصلة لثوارنا أثناء الكفاح المسلح ضد اليابان ، والكفاح البطولي لشعبنا في وقت الثورة الديمقراطية وحرب تحرير الوطن ، والترميم والبناء بعد الحرب • وقد كان عدد غير قليل من الأعمال التي تعالج هذه الموضـوعات ناجحـة ، وساهمت اسهاما عظيما في تربية الشعب العامل بالـــروح الثورية الشيوعية •

وما ينقصنا الآن أكثر من أي شيء آخر هـو الأعمال التي تصور الواقع اليومي • فليس لدينا سوى عدد قليـل جدا من الأعمال الفنية التي تصور الأبطال الجدد الذيـن انجبهم عصر التشوليما• ان كتابنا وفناننا يمجدون أبطال الماضي ، ولكنهم عاجزون عن رؤية أبطال عصرنا الذيـن يخلقون حياة جديدة حافلة • وهذه واحدة من أفدح نواحي الضعف لدى كتابنا المعاصرين •

ولا شك انها حقيقة أن تصوير حياة وأبطال الحاضر أصعب بكثير من تصوير حياة وأبطال الماضي • فالحيـــاة

اليوم لهامضمون أكثر تعقيدا وتنوعا منهافي الماضي ·ويلزم كثير من الدراسة والجهد لتقديم صورة وافية للمضامين المعقدة والفنية لحياة ابطالنا المعاصرين · ولكننا اذاستطعنا النجاح في انتاج عمل ممتاز من الفن حول واقعنا اليومي ، فسيكون في وسعه أن يلعب دورا في تربية الشعب العامل أكبر بكثير من العمل الذي يصور الماضي ·

ان جميع الاعمال الادبية والفنيةيجب بعدكلشيء أن تخدم تعليم شعبنا اليوم كيف يعيش ، وكيف يعمل ، وكيف يكافح · وهذا هو السبب في أن كتابنا وفناننا يجب أن يولوا اهتماما بالواقع المعاصر أكثر من الماضي· كلما تصور حياة الواقع اليومي كلما تكون الاعمال اعمالا ذات قيمة أكثر ·

ولقد ذكر لنا كاتب أجنبي معين أن مسرحية الاموال لي سون سين تمثل في كوريا مرات كثيرة · ولكن حرب تحرير الوطن التي خاضها الشعب الكوري لا بد قد تمخضت عن لي سون سين كثيرين ·وأنا أعتقد أنه كان على صوابفي قوله ذاك · ففي أيامنا هذه ، يوجد العديد من الوطنيين الاكثر حكمة وشجاعة من لي سون سين

ونحن نستطيع أن نجد رجالا جددا في كل مكان· وعلى أدبنا وفننا أن يصوراهم ·ان كثيرين من فرسان التشوليا يعملونفي مصانع ومؤسسات مثل مصانع بناء الآلات، ومصانع التعدين، ومصانع النسيج ، الخ ، وفي الريف ، وفي قرى صيد السمك · وفي الوقت الحاضر يبلغ عدد فرق عمل التشوليا وحدها أكثر من ٨٥٠ فريقا · والتعاونيات الزراعية النموذجية أكثر من ١٠٠٠ تعاونية · وفرسان التشوليا كلهم أبطال رائعون لعصرنا · والمشكلة أن كتابنا وفنانينا عاجزون عن التعرف على ابطال اليوم الحقيقيين ·

والفن السينمائي متخلف بشكل خاص فيميدان الادب والفن · فالسينما تشغل مركزاً هاماً جدا كوسيلة لتربية الجماهير · غير أن السينما لدينا في مستوى منخفض · فلا يوجد ثمة فيلم يصور طبقتنا العاملة البطلة · كما لايوجد فيلم يصور فلاحينا يستحق المشاهدة ·

لقد انجزنا المهمة الثورية لتعميم التعاونيات في الزراعة الفردية والقضاء على جذور الاستغلال والفقر الى الابد في الريف في مدة قصيرة لا تزيد على أربع أو خمس سنوات · ولكن لايوجد فيلم واحد يسجل هذا التغير العظيم· حقيقة ، لقد ظهر فيلم يصور جهود عمال مصنع ريونغ سونغ للآلات في انتاج الآلات والمعدات اللازمة لمصانع هوانغ هاي للحديد · ولكنه ليس كافيا · وأنا لن أذكر عيوب هذا الفيلم · فان اعمالا كثيرة قائمة على أساس واقعنا يجب أن تنتج ، ولا ينبغي أن نهتم ببعض نواقص قليلة فيها ·

ولقد فكرت كثيرا في الفترة الاخيرة حول كيف نساعد فننا السينمائي على تصوير الحياة والكفاح الحافلين لانسان عصرنا الجديد . وللابطال الذين جاءوا من الشعب العامل. ولفرسان التشوليا · فلو انتجنا ولو فيلما واحدا من هذا النوع فانه سوف يشجع كثيرا شعبنا العامل ، وسيصبح سلاحاً قوياً لتربية الالوف بل وعشرات الآلاف من الناس كي يصبحون رجالا جدداً ·

وعند انتاج الافلام التي تستجيب لمطالب عصرنا يكون من أهم الاشياء أن تعكس بصدق الصراع بين الجديد والقديم وأن تظهر بحيوية تفوق النظام الاشتراكي الذي يفتح للشعب آفاقا واسعة لا نهاية لها · ويجب ان تؤكد هذه الافلام فكرة انها ليست الالات ، وانما هو الانسان الذي يلعب الدور الحاسم في الانتاج· ويجب ان تعطي الافلام مقاما بارزاً للنظرة الماركسية اللينينة · أن الحياة الحافلة لاتخلق بقوة شخص واحد أو شخصين متفوقين ،انما بكفاح ملايين العاملين الواعين برسالتهم التاريخية · وبطل مثل هذا الفيلم يجب أن يصور كانسان جديد ونموذجي ، مسرح ومتفائل ، انسان لايستسلم للمصاعب ، ويملك ارادة قوية للتحرك للامام · يجب أن يصور بمهارة مساراً للحياة نجد فيه انساناً كان من قبل واقعاً تحت الذل والقهر يعمل بتفان في وجه المحن وينجح في النهاية بفضل جهوده المضنية وتقدمه المعنوي ·

ان في بلادنا الآن عناصر لاحصر لهم مؤهلين كأبطال من هذا الطراز · ان فرسان التشوليا لدينا الذين يحصون بالألوف وعشرات الألوف كلهم أبطال لعصرنا يحطمون كل ما هو متخلف . ويخلقون مجتمعا جديداطيبا يكفاحهم البطولي وعملهم الخلاق · وانه لمما يدعو للاسف الشديد انه لا يوجد فيلم واحد يصور فرسان التشوليا ·

ولا شك أن هناك أيضا نواقص في أداء ممثلينا وممثلاتنا في أفلامنا ، ولكن هذا لايبدو أنه شديد الأهمية · وهناك قوم يقولون أنه لايمكن انتاج أفلام جديدة لأن الاستديوهات تؤدي عملها بشكل هزيل ، ولكن ليس هذا هو الحال فان عمل الاستديوهات أساسا هو الجانب التكنيكي للانتاج، وليس المضمون الايديولوجي للافلام· والنقطة الرئيسية هي المضمون الايديولوجي للافلام الذي يبدو هزيلا جدا ·

وعلى سبيل المثال . لقد شاهدت فيلما يتناول مشكلة الحب · ولم يكن للفيلم أي مضمون ايديولوجي بالمرة · وكان غير مشوق على الاطلاق · ونحن لن يجدينا شيء أن نصور الحب من أجل الحب · فالحب من أجل الحب مظهر من مظاهر المذهب الطبيعي · وليس فيه أية قيمة تربوية لنا · والاكثر من ذلك أنه قد يكون ضاراً ·

ان الحب بين رجال ونساء من طراز جديد يجب أن يخدم الاهداف النبيلة لقضية الثورة ، وان يكون مرتبطا

ارتباطا وثيقا بالكفاح من أجل الانتصار في الثورة • ومن ثم فان افلامنا يجب أن تنتقد بشدة حب أولئك الذين ينسون الهدف الثوري وينغمسون فقط في المتعة الشخصية ، يجب أن نجعل مثلا أعلى ، ذلك الحب النبيل والجميل لدى طراز جديد من الشباب الذين يخوضون كفاحا بطوليا في سبيل الاهداف العظيمة للبناء الاشتراكي ، يساعد كل منهم الآخر ويقوده للأمام •

ومسألة المضمون الايديولوجي يجب أن تسوى أولا كل شيء بواسطة كتاب السيناريو • فليس هناك أفلام جيدة تنتج الآن بواسطة كتاب السيناريو عاجزون عن كتابة أعمال جيدة • ولو كان كتاب السيناريو يعدون نصوصا جيدة لما كان هناك سبب يدعو لعدم انتاج أفلام جيدة، حتى لو كانت الاستديوهات تشكو من بعض القصور والنواقص • انما المشكلة الآن في السيناريوهات •

ووضع الموسيقى التصويرية مسؤول أيضا الى حد كبير عن انخفاض مستوى افلامنا • فمشاهد الشجاعة يجب أن تكون مصحوبة بالحان مثيرة ومنعمة بالأمل • غير أنها ليست كذلك • ولأن هناك الحانا غير مناسبة لاتتفق مع المشاهد على الشاشة تلتقي كيفما اتفق فان المشاهدين لاينفعلون بها •

وموسيقانا أيضا متخلفة في الطريق وراء الواقع • فهي عاجزة عن التعبير بصدق عن الحركة العظيمة للأمام لشعبنا الذي ينطلق قدما مثل الريح • فليس هناك الحان جديدة جيدة وضعت لأجل فرسان التشوليما كي تغني بقوة ومرح • ان المياه الزرقاء تجري عبر الجبال والأنهار لتبلل حقول الارز والحقول الجافة . والجرارات واللوريات تعمل في الحقول وتحمل الاثقال بدلا من الايدي والاقدام البشرية . ومع ذلك فنحن لا نسمع أغنيات نابضة بالحياة وجميلة تتغنى بهذا التغير الذي صنع عهدا جديدا في الريف •

فالملحمة الموسيقية الراقصة ــ وطننا المجيد ــ بالفعل عمل كبير • ولكنها مزيج من عدة الحان • وليست عملا واحدا كبيرا • ولا محل للرضا بالمرة لمجرد أن عملا كهذا قد خلق •

والاغاني يجب أن تلحن بحيث تلائم عواطف الشعب • فعندما تكون احدى المعارك مستمرة ، فان ذلك يستلزم أغنيات تناسب المعركة • وحينما يجري اداء العمل ، فان ذلك يستلزم اغنيات مناسبة للعمل • والاغنيات التي تغنى عند نقل شتلات الارز يجب أن تكون مختلفة عن تلك التي يترنم بها عند رفع أحمال التراب أزواجا ، مع أن كليهما أغنية عمل • وهكذا ، فقط حينما تغني أغاني ملائمة لمناسباتها . يمكن للجنود أن يقاتلوا ببسالة . وللعمال والفلاحين أن يزيدوا الانتاج • فلا يمكن أن تكون هناك أغنية واحدة تناسب جيدا كل زمان ومكان • وانما فقط تلك الاغنيات التي تعكس روح العصر وتناسب الظروف المعينة هي التي يمكن أن ترقق للشعب •

وهذا ليس الوقت الذي تغنى فيه فقط أهازيج تفتح زهرة الكمثرى • فنحن اليوم أكثر من أي وقت مضى • نحتاج الى اغنيات مرحة ومثيرة ، تستهض همم الجماهير للعمل الخلاق • فعندما يغني الناس أغنيات مشجعة مثيرة ينسون ارهاقهم وتعبهم •

والناس شغوفون بلحن مارش التشوليما لأنه يعكس روح عصرنا ويتمشى مع عواطفه • وأغنية جديدة تناسب من القرية عبر النهر التي تغنى بالطريقة التي يغنون بها أهازيج المحافظات الغربية تروقني • فهي لها لكنة كورية ، وتشجعنا عندما نسمعها •

وأغنية النساجين ، وأغنية جانب البئر أيضا أغنيتان جميلتان • بيد اننا لا نستطيع ان نغني فقط هذه الاغنيات طول الوقت • وانما يجب أن يكون لدينا أغنيات جديدة • ولكننا عندما نسمع كثيرا من الاغنيات الجديدة التي لحنت أخيرا مثل أغنية عمال الصهر أو أغنية عمال الآلات لانحس بأي شيء جديد ، لانها كلها ترجيع لأنغام قديمة بطريقة أو أخرى • ولا مجال كبير للتمييز بين ألحانها •

ان في الاغاني ايضا الشيء المهم هو المضمون الايديولوجي •

فالأغنية لأجل الاغنية لا جدوى من ورائها • والاغنية التي تتغنى فقط بجمال الطبيعة أيضا قليلة القيمة • حقيقة ان الأغنيات التي تشدو بجمال الطبيعة تسر الناس، ولكن أكثر منها قيمة تلك الأغنيات التي تقدم تعبيرا عن الحياة الاجتماعية انما هو تعبير عن المذهب الطبيعي أو مذهب الفن للفن ، وهو يؤثر تأثيرا ضارا على الشعب العامل حتى يتخلى عن الكفاح •

والشعب يحب الأغنيات ذات المستوى الايديولوجي الرفيع • فقط تلك الأغنيات التي يقبلها الشعب ، ويحبها، ويغنيها بسرور هي التي تكون مفيدة • فما هي فائدة أغنيات لا يفهمها سوى عدد قليل من المختصين أو ما اشبه • ان وجهة النظر الايديولوجية ان الفن لا يمكن يفهمه الا المختصون خاطئة من أساسها •

والناس هم النقاد الحقيقون للفن • وليس هناك ناقد أكثر حكمة من الشعب • فالاعمال التي اجتازت امتحان الشعب يجب أن ينظر اليها باعتبارها أعمالا جيدة ، وتلك التي لم تفعل يجب اعتبارها أعمالا سيئة • ان الروايات ، والشعر ، والموسيقى ، والسينما ، وكافة أشكال الفنون الاخرى يجب أن تكون مفهومة لدى جماهير الشعب وان تخدمهم •

وهناك بالتأكيد نواقص في عمل أدبنا وفننا في الوقت الراهن ·فشعبنا كله ينطلق قدماً بروح فرسان التشوليما· ولا يوجد سبب يدعو لأن يكون كتاب السناريو أو المؤلفون الموسيقيون وحدهم المتخلفون الى الوراء ·ان كتابنا وفناننا أيضا يجب ويمكنهم أن يستطوا صهوة التشوليما لكي يبدعوا ما يمكن في هذا الفرع ·

والعيوب الرئيسية في عمل الادب والفن هي أولا أن الكتاب والفنانين مازالوا لم يدركوا بعمق سياسات الحزب، وثانياً . أن الكتاب والفنانين يقصرون في الغوص الى أعماق حياة الشعب ، وثالثاً ان العمل التنظيمي والتوجيهي في هذا الفرع ضعيف ·

فكل كتابنا وفنانينا يريدون لشعبنا أن يبني الاشتراكية بشكل أسرع وأفضل حتى يمكنهم أن يعيشوا في سعادة أكبر وهم يؤدون حركة التشوليما لشعبنا ،ومع ذلك فان روح التشوليما لم تتجسد جيداً في النشاطات الخلاقة للكتاب ·وهذا بعد كل شيء دليل على أن كتابنا لم يتقبلوا بالكامل بعد روح التشوليما ، وانهم لا يتنفسون نفس الهواء الذي تتنفسه جماهير الشعب · فلو أنكم تقبلون بروح التشوليما ،لوجب عليكم أن تقدموا أعمالا تعبر عن نفس الروح ·

وأول كل شيء أعتقد أن كتابنا وفنانينا يحتاجون الى اجراء دراسة جادة لتحديد الجذور الايديولوجية لفشلهم في ادراك روح العصر كما ينبغي · ويبدو أن المشكلة أن كتابنا ليس لديهم ، بعد كل شيء ،ادراك عميق لسياسة الحزب ·

أن طليعة شعبنا هي الحزب· وبدون معرفة نوايا الحزب جيدا يكون من المستحيل توفر فهم سليم لحركة شعبنا العظيمة للامام · والمرء لا يمكنه حقا أن يفهم واقعنا بمجرد الذهاب الى المصانع أو الريف كيما اتفق بدون أن يدرس بعمق سياسة الحزب ·فأولئك فقط المسلحون بقوة بسياسة حزبنا هم الذين يمكنهم التمييز بين الجديد والقديم ،وتبين الاشياء الحيوية من وسط تعقيدات الواقع· ومن ثم،فان على الكتاب والفنانين قبل أي شيء آخر أن يجروا دراسة عميقة لسياسة الحزب حتى يتفهموا موقفه الثوري ، وموقفه الماركسي اللينيني العلمي ، وأساليبه فيما يتصل بالواقع ·

ولا ينبغي لادبنا وفننا بحال من الاحوال ان ينفصلا عن مصالح الثورة وخط الحزب ،كما لا ينبغي أن يسمحا بوجود تلك العناصر التي تغذي أذواق وهوى الطبقات المستغلة فالادب والفن الثوريان القائمان بالكامل على أساس خط وسياسة الحزب ،هما فقط اللذان يستطيعان أن يحظيا بحق جماهير الشعب ،ويصبحا سلاحا حزبيا قويا لتربية الجماهير العاملة بالروح الثورية للشيوعية ·

ان كل خطوط وسياسات حزبنا قد انطلقت من وقائع بلادنا ، وهي تعبر عن مصالح شعبنا ·وسياسة الحزب تتجسد في الحياة الفعلية من خلال الكفاح العملي للجماهير الكادحة·

وفقط ،الادب والفن المولودان من الواقع ،والمرتبطان ارتباطا وثيقا بالنشاطات العلمية للجماهير يمكنهما ان يصبحا ادبا وفنا حزبيين بحق وثوريين بحق · وفقط ، الاعمال الواقعية للادب والفن التي تقدم تصويرا حيا وعميقا للحياة العملية هي التي يمكنها أن تروق لقلوب الشعب ·

ومن ثم ، فعلى الكتاب أن يعرفوا الوقائع جيدا ،وأن يغوصوا عميقا في حياة جماهير الشعب ·

وطالما ظل الكتاب والفنانون جالسين في بيونغ يانغ ، فان شيئا لن يحدث· فالحياة والصراع اللذان يحركان عواطف الشعب لا يمكن للمرء ان يراهما الا عندما يذهب الى المصنع ولا يمكن حسهما الا عندما يذهب الى الريف ·ولا يمكن الحصول على معرفة جديدة بالواقع الا عندما تكونون على صلة مستمرة بالعمال والفلاحين ، والغوص عميقا في حياتهم·

ان عليكم أن تلاحظوا بعناية حياة العمال والفلاحين، ولكن الملاحظة وحدها غير كافية · فكتابنا وفنانونا يجب أن يقتحموا بجرأة لهب كفاح العمال والفلاحين ، وأن يكتسبوا القدرة على رؤية الحياة الفعلية بنفس المشاعر التي لدى العمال والفلاحين المناضلين · حينئذ فقط يمكنهم أن يسموا كتاباً وفنانين مارسوا حياة شعبنا ، حينئذ فقط يمكنهم أن يبدعوا أعمالا تحظى بحب الجماهير الشعبية وتخدمهم ·

فبدون معرفة حياة الشعب جيدا لن يكون في وسعكم ان تصوروا بصدق واقعنا أو أن تصوروا بشكل سليم تفكير وعواطف وقسمات انسان اليوم الجديد ·

ان شباب اليوم يختلفون عن شباب الماضي ،والشيوخ أيضا ليسوا مثل الشيوخ في سالف الأيام · ولن يستطيع الممثلون أن يصوروا بشكل سليم الناس الجدد الذين يتغيرون ويتطورون باستمرار الا اذا نقبوا عميقا في الواقع ·

والذي يجب أن يهتم به اليوم كتابنا وفنانونا بنوع خاص عندما ينزلون الى المصانع أو القرى الزراعية هو أن يكتشفوا الطراز الجديد من الناس وأن يجروا دراسة جيدة مفصلة لحياتهم ·فلو أن كتابنا صوروا صورة جيدة للحياة السعيدة الجديرة بالتقدير لاحد فرسان التشوليما ،لكانت هذه مادة جيدة لتربية الآلاف وعشرات الالاف من الشعب العامل ·

ان حزبنا في الوقت الحاضر يبذل جهودا عظيمة لتربية واعادة صياغة الجماهير · والتربية المدرسية أو الدعاية والاثارة وحدها ليست كافية لهذا الغرض ·وانما فقط بحشد كافة أشكال الادب والفن مثل الروايات ،والشعر والمسرحيات والسينما ،والموسيقى التي هي وسائل ممتازة ـ التربية الجماهيرية ـ يمكنكم ان تمارسوا بفاعلية تربية واعادة صياغة الجماهير ·

وبنوع خاص ، فان تلك الاعمال التي تصور فرسان

التشوليما وسائل جيدة جدالتنفيذ سياسة الحزب لتربيـــة الشعب ،فبينما كان التركيز في الماضي في تعليم الشعب على نقد الظواهر السلبية ،فان المكان البارز الآن يجب أن يكون للأمثلة الايجابية ·

وقد أوقفنا أيضانشر المقطوعات الهجائية في الصحف· فالمقطوعات الهجائية عادة تستورد من الخارج ·وهي لاتتفق تماما مع الحساسية المفرطة للكوريين ·ونحن قدالقينا بهـا في صندوق قمامة الجمود العقائدي لأنها اسلوب في التربيـة يتألف فقط من التقاط عيوب الناس·فصحفنا تحمل حقائق نموذجية ووقائع مؤثرة تستحق المديح بدلا من الهجاء مربية الشعب بواسطها ·

وعقب اجتماع مارس ١٩٥٨ الكامل للجنة المركزيـة للحزب الغي نظام في الحبس جيشنا الشعبي ، واعيد النظرفي كافة الاحكام الداخلية ·

فقد كان نظام الحبس هذا لايتفقمع شعبنا ·فالشعب يجب أن يربىليس بالوسائل القسرية،وانمابالاقناع الدؤوب والمثل الايجابية ·

فماذا كانت نتيجة الغاء نظام الحبس ؟منذ وقتمضى زرت وحدات الجيش الشعبي ،وكان لي أحاديث مع الجنود· وفي ذلك الحين سألت رقيبا اول ما اذا كان هناك اي خروج على الانضباط بعد الغاء نظام الحبس ،فاجاب أنه لايوجـــد · فسألت : كيف يمكن انه لم يحدث ولو حالة واحدة للخروج على الانضباط طوال عامين؟وعندئذ اعترف انه حدثتحالة واحدة من هذاالنوع ·مجند اعتادان ينفرد اثناءكل اجتماع· ولذلك فان الرقيب الاول ،طمأنمنان هذا لأنه لايترك رجاله ينالون راحة كافية ،أخذ يرسلهم للنوم مبكرا · وقال أنـه بعد ذلك لم يحدث ان غلب عليه النوم أي رفيق بالمرة أثناء الاجتماعات· وفيما بعد زرت لواء معينا على الشاطىء الشرقي وسألت نفس الشيء فأجابني أحد الضباط انه حدثت حالة واحدة للخروج على الانضباط ،حيث كما قال ،اعتاد أحد المجندين أن يتسلل سرا بالليل للخارج ليرى فتاته ثم يعود· فقلت انه لو كان العاملون السياسيون قد غاصـوا عميقا في حياة الجنود وحرصوا على حل المشاكل التي تقلقهم في حينها لكان من الممكن منع هذه الحالة للخروج على الانضباط سلفا· فالناس معرضون لارتكاب الاخطاء وابداء النواقص لان كل واحد لديه بقايا من الافكار القديمة · وانه لأمر منـاف لسياسة حزبنا أن يتغلـى عـــن أولئك الناس ذوي الأفكار العقيمة والذين يرتكبون أخطاء ·فقد اتبع حـزبنا بثبات سياسة اعادة صياغة الناس ذوي الأفكار العقيمة الى أناس جدد من خلال العمل التربوي الدؤوب ·

ان المجتمع لا يمكن أن يبنى بقوة رجل واحد او رجلين غير عاديين · فلكي يبني مجتمع يستطيع فيه الشعب العامل كله أن يحيا حياة وفرة،يجب أن يجذب كل واحد الى النشاط وعلينا أن نواصل تربية وصياغة الشعب العامل حتى يمكنه أن يتقبل قضيته هو ، ويكافح متطوعا في سبيلها ·

وفي ظل نظامنا الاجتماعي اليوم يستطيع كل شخص أن يصبح انسانا شيوعيا جديدا· وفي ظل نظامنا يكون المرء الذي يتبع الدرب الخاطىء استثناء ،والاغلبية المطلقة على الدرب السليم· لذلك ساعدوهم قليلا ،وسيمكنهم جميعا أن يصبحوا شيوعيين رائعين · ومالم تعد صياغة كل واحد وفق الخطوات الشيوعية بهذه الطريقة ، فان الانتصار الكامل للاشتراكية لا يمكن ان يتحقق ، والمجتمع الشيوعي لا يمكن أن يشيد ·

وفي بلادنا تأخذ طريقها الآن حركة جماهيرية لتربيـة الشعب واعادة صياغته · وحتى الفتيات الصغـيرات قـد خرجن ليتعلمن ويعدن صياغة الشعب،معلنات بثقة أن يمكن ان تعاد صياغته فيما عدا الاعداء الطبقيين ·

وهكذا ، فحتى المجانحون اليؤوس منهم في بلادنا تعاد صياغتهم الآن · بل أن هناك حالة لزوجـة تاجر أعيـــدت صياغتها ثم أصلحت زوجها الذي كان في أحد دور التأهيـل فقد كانت تزور زوجها مرة كل اسبوع للتربية ، وكانـت النتيجة أن التاجر أصبح تائبا عن اثامه ، ووصل اخيرا الى حد أنه أبلغ زوجته أين دفن عدة خواتم ذهبية وأشياء أخرى من الذهب وقال لها انها يجب أن تخرجها وتقدمها للدولة ·

فعندما نرى أنه حتى الناس الذين قد ارتكبوا جرائم خطيرة يمكن كلهم أن تعاد صياغتهم على هذا النحو ، فانـه يكون غنيا عن البيان أن أولئك الجامحين قليلا يمكن تربيتهم واعادة صياغتهم ·

وفيما يتصل بأسر الذين فروا الى الجنوب ،فان الحزب يتبع سياسة قبولهم وتربيتهم واعادة صياغتهم جميعا فيمـا عدا حفنة من العناصر البغيضة· كذلك فان الحزب قدانتقد بشدة موقف الشك بلا مبرر في أسـرى الحرب العائديـــن ، ويوجه الشعب الى معاملتهم بحرارة · فالرفيق جين أونـــغ وان ،وهو صاهر معادن في مصنع غانغ سون للصلب ،أسير حرب عائد ،وهذا الرفيق ليس الا ذلك الرجل الـذي بادر بحركة فرق عمل التشوليما ·وقد ساند الحزب بنشاط المبادرة الرائعة للرفيق جين أونغ وان ·واليوم فقد قامت حركـــة فرق عمل التشوليما ، وهي تنتشر مثل النار في الهشيـم في البلاد بأسرها ، دافعة بقوة البناء الاشتراكي لشعبنا ·

ان تربية وتحويل الشعب لهمة نبيلة على عاتق الكتاب والفنانين · فعلى كتابنا وفنانينا أن يربوا ويعيدوا صياغة المتخلفين في صفوفهم ،وأن يحولوهم الى جنود رائعين لحزبنا في حقل الادب والفن·وعلى كافة الكتاب والفنانين أن يصوروا ـ وبذلك يعطوا حافزا أقوى ـ الحركة الجماهيريـة لشعبنا الذي يربي ويعيد صياغة الرجال وهو متحد كرجل واحـــد

عقلا وروحا ·كلما نفذ هذا العمل لتربية واعادة صياغة الناس بنجاح أكبر ،كلما كشف شعبنا عن قوة أكبر في كافة ميادين البناء الاشتراكي ·

ان شعوب العالم ترقب الآن باعجاب كفاح شعبنا وهو يبني الاشتراكية بسرعة التشوليما ،وهم تواقون الى معرفة سر انتصار شعبنا،وعلى كتابنا وفنانينا أن يظهروا بوضوح من خلال أعمالهم أين يوجد منبع قوة شعبنا ·

ان السبب في عدم وجود تقدم كبير في حقل الادب والفن يرجع أيضا الى العيوب في المجال التنظيمي والتوجيهي · ويبدو أن القيادة الحزبية ضعيفة ،وأن الخط الجماهيري لا ينفذ جيدا في هذا الميدان ·

فوزارة التربية والثقافة بينما تمارس السيطرة بأساليب ادارية ،فانها تهمل عملها السياسي وسط أولئك المشتغلين بالادب والفن · ولقد سمعت أن وزير التربية والثقافة يفحص السناريوهات بنفسه · ولكن هذه ليست طريقة مجدية لتقويم الامور · فالوزير قد يفحص السيناريوهات أحيانا · ولكن هذا عمل من أعمال الكتاب ابتداء · وعلى وزير التربية والثقافة أن يمارس عملا سياسيا كافيا لتجنيد الحكمة الجماعية للكتاب والفنانين ،بدلا من اعطاء التوجيه الاداري ، شاغلا نفسه بمشاكل فردية ·

ويبدو انه من الضروري ادخال بعض تغيرات في نظام التوجيه لميدان الادب والفن · وسوف يكون جيدا أن يشكل تنظيم اتحادي يغطي كافة فروع الأدب والفن ،وعلى الحزب أن يسدي التوجيه المباشر · ويبدو من الضروري أن توحد جماعات الكتاب والمؤلفين الموسيقيين والراقصين ، الخ ، في الاتحاد العام للأدب والفن كما كان من قبل ، لكي نجعلهم يشتغلون بشكل جماعي تحت قيادة الحزب ·

وفي الوقت الحاضر لا تتلقى مختلف الفروع تربية متبادلة ونقدا متبادلا ، وكل منها يسير في طريقه · وأي فرع من فروع الادب والفن يعمل وحده سيكون عاجزا عن رؤية نواقصه الخاصة · فالشيء الخطأ لا يمكن أن يكتشف الا بواسطة الآخرين · فالمؤلف الموسيقي يعتقد أن عمله هو أحسن الاعمال ،ولكن عندما يستمع الآخرون له يمكنهم أن يكتشفوا النواقص التي لا يدركها المؤلف الموسيقي ويمكنهم أن يسدوا نصيحة جيدة ·

ومن الضروي تنظيم الندوات بين الحين والحين ، وسيكون طيبا أن يدعى العمال والفلاحون والطلاب أيضا الى الندوات · ويبدو أن الكتاب يعقدون مثل هذه الندوات مرات أكثر ،ولكن المؤلفين الموسيقيين لا يفعلون · والعمال والفلاحون يمكنهم أن يقدموا اقتراحات جيدة حول الأغاني أيضا ·

والادب والفن لا يمكن أيضا أن يتطورا بسرعة الا اعتمادا على قوة الجماهير ، فقوة عدد قليل من المحترفين لن تأتي بنتيجة ·

ومن الضروري أن يكون هناك مراسلون في كل مكان · فحيث أن المراسلين يعيشون دائما وسط الجماهير ، فانهم يمكنهم أن يكتبوا أعمالا قد تكون أفضل من الكتاب المحترفين الملازمين لغرف مكاتبهم · ان هناك كثيرا من خريجي المدارس المتوسطة والكليات يعملون في المصانع · فقدموا لهم معونة قليلة وسوف يكونون أيضا قادرون على كتابة المؤلفات الادبية · ان الفكرة الخاطئة أن الكتاب المحترفين وحدهم هم القادرون على كتابة السناريوهات يجب أن تطرح جانبا ·

كذلك فان وجهة النظر القائلة ان المحترفين وحدهم هم الذين يمكنهم تأليف الموسيقى خاطئة · فالعمال أو الفلاحون يمكنهم جميعا أن يكتبوا موسيقى · والمؤلفات الموسيقية التي يكتبها العمال والفلاحون ممن ليس لديهم تدريب كاف في الموسيقى قد يكون فيها عيوب تتصادم مع المعايير الموسيقية · فاذا صححت هذه العيوب بواسطة المحترفين، فانها ستكون على ما يرام.

وكما تعرفون جميعا فانه يوجد الآن مقطوعات درامية وأعمال أخرى من ابداع الحلقات المحلية للفنانين الهواة أفضل كثيرا من تلك المنتجة في العاصمة · وتوجد أيضا أعمال رائعة جدا بين تلك التي يخرجها معلمو المدارس في المناطق الريفية · ان ذلك لأن هذه الاعمال قد ولدت من الحياة الحقيقية ·

ان كثيرا من الأغنيات التي غناها رجال حرب العصابات ضد اليابان كانت من انتاج رجال حرب العصابات أنفسهم · وهم بالتأكيد لم يكونوا فنانين ،ولم يدخل أحدهم معهدا موسيقيا · وكثيرون منهم كانوا شبابا عاملين ليس لديهم سوى معرفة خريج مدرسة متوسطة على أحسن الفروض · ولم يكن هناك سوى عدد قليل من خريجي الكليات · والأغاني الثورية التي نغنيها اليوم هي التصوير الطبيعي والصادق لما كانوا يحسون في حياتهم وكفاحهم ·

كل هذا يشهد على حقيقة أنه لا يوجد شيء غيبي حول كتابة السيناريوهات او الموسيقى وأنه ليس فقط من الممكن للعمال والفلاحين أن يشاركوا في الابداع الادبي والفني، انما انه بدون مشاركتهم النشطة لا يمكن أن يكون هناك ازدهار لفن شعبي حقيقي ·

ان لدينا كثيرين من الكتاب والفنانين الموهوبين · فلو ان جميع الكتاب والفنانين بذلوا جهودا مخلصة تأييدا لقيادة الحزب ،فسيكونون قادرين على ان يطوروا بسرعة أدبنا وفننا ليتلائم مع عصرنا ·

وعلى الكتاب الذين جمعوا كثيرا من الخبرة في النشاطات الادبية والفنية أن يقفوا بأشخاصهم في الطليعة ،وأن يقودوا الشباب الى الامام · انهم بالتأكيد يجب أن يعبروا أذنا مفتوحة للشباب أيضا · ويجب أن يجروا بحيوية المناقشات الجماعية ويعطوا مساندة نشطة لكافة الاراء البناءة ·

ان الحزب سوف يفعل كل ما في وسعه ليساعدكم في عملكم ،واني لارجو مخلصا انكم سوف تحققون تحولا صائما لعهد جديد في تطور الادب والفن ، حيث تشنون كفاحا أكثر نشاطا لتنفيذ سياسة الحزب في الادب والفن ·

رسائل الاصدقاء

أبيات مهداة الى الاستاذ الاديب حسان الكاتب صاحب الموسوعة الموجزة

حسان يا قلما يسجل مجدنا ... ليضيف أمجادا الى أمجاد
في كل حرف مرجع يهدي الورى ... ويذكر الاحفاد بالاجداد
في كل جزء رحلة ميمونة ... منها تعود بطارف وتلاد
قالوا الحسام سبيلنا لخلاصنا ... من معتد متطاول جلاد
قلت الحسام سبيلنا لكنه ... رهن بما للفكر من ارشاد
فالراي يرسم للحسام طريقه ... والفكر خير ذخيرة وعتاد
والبيت لا يبنى بدون مخطط ... والصرح لا يعلو بغير عماد
احسنت يا حسان في موسوعة ... حققت فيها مطلب الرواد
كم اطربت متعلما متتبعا ... وغمدت له زادا واطيب زاد
فانعم بها واسلم لكل مواطن ... يفديك اذ تحيي تراث الضاد

عبد المجيد التجار

الى صاحب الموسوعة الموجزة

أمطر التاريخ في أحداثه ... ومخلد الاعلام في آثارها
حققت شيئا معجزا بأمانة ... فيمثلها شقي الامين بنارها
وبعثت بالقول المبين أممة ... ماتوا وقد عيثت البلى بديارها
ورفعت من قدر الجهابذة الاولى ... بشواهد شهدت على اقدارها
نزهت عن زيف يراعك معرضا ... عن عصبة رتعت بفحمة عارها
يتشادقون على الفهاهة والعمى ... كضفادع في غيها وعثارها
لله انت مدققا ومحققا ... سبر الضمائر في دجى اغوارها
ما زلت تقطف ما انجلى من حكمة ... حتى طلعت على الدنى بثمارها

عدنان مردم بك

الى الشاعر صالح درويش

ـ طفولة الابحار وعذابات المنفى ـ هذا ما شعرت به وانا اطوي اوراق مجموعتك الشعرية الاخيرة ـ الابحار .. في سفن الدهشة ـ الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، وقد استقام بيانك الشعري على اعذب ايقاع متدفق يوازي سورة النفس ، وبراءة الطفل امام الحدث . ونقاء النبع الدافق من سرة الجبل ، ولقد تجاوزت بها ذاتك . فأين عطاءك هذا من ـ فجر الكادحين ـ شرد ودم . ان صورك تتحرك في اطار الفاعلية الوجودية ويترسم الحلم الفردي في تقاطع مع الحلم القومي. ويتداخل عبر صورك احساسات الدهشة والتعجب والذهول مع ارادة التخطي والتمثل . ولقد اثارني اعترافك :

طفولتي حزن وترحال طويل
تشرد .. ودمعتا وداع
وغيمة ما خطرت ببال
مرت على شواطىء المحال
ردت الى مولدها .. ردت الى الرمال

واعجبت اكثر من شجاعة الاعتراف ورغبة التوبة :

اغسلني يابحر ..
ياصديقي القديم
أغسلني بأمواجك
طهرني بفنائك
واعد الي نقائي ..

وبراءتي .. وطفولتي

ولقد كانت قصيدتك ـ الدوار ـ اختزال المعاناة القومية داخل جيلنا في النصف الثاني من القرن العشرين واذا كانت الصعلكة في الماضي والتسكع في الحاضر قدر الشعراء .. فالظمأ والابحار قدرك ياصاحبي .

الشاعر انور الجندي ـ السلمية

قرات في مجلة الثقافة الاسبوعية مقطوعتي ـ ميسون ـ واذا كان المثل ـ فرخ البط عوام ـ ينطبق عليها فان ملامحك الشعرية واضحة في المقطوعتين تؤكد ظلمك القاسي عليها اذ ان نظرتها الى الحياة . تختلف عن نظرتك بالضرورة . والحزن الذي وسم رؤاك الشعرية منذ البداية . ليس من الضروري ان يوسم رؤاها . والا يكون ذلك مرضا بالورائة يا شاعري . فدع كريمتك تختار طريقها الشعري كما ترغب وتريد وان تعبر كيفما تستطيع ،ولا تعاند في ذلك كما عاندت في مسألة نشر ديوانك الشعري ، ولسوف تندم ذات يوم فالحظ لا يقرع باب الانسان اكثر من مرة ومن يشرب من ماء النهر مرتين . ؟

دمشق ـ عبد الكريم دندي

محتويات العدد

١	كلمة العدد	رئيس التحرير
	● دراسات	
٢	القوي الذي رحم الضعفاء	الدكتور محمد ابو شهبه
٦	اللغة العربية الفصحى	الدكتور فخر الدين قباوه
٩	صفد في التاريخ	خليل خلايلي
١٦	عبد الرحمن المشرقاوي	ثروت اباظة
٣٠	الشيخ عبد القادر المغربي	عبد الكريم دندي
٤٠	خطأ الديالكتيكية	علي ونوس خنسه
٤٢	مروان اتماز السباعي	محمد غازي التدمري
٤٩	ابن الرومي	ملحة عكاش
٥٧	فلنبدع ادبا وفنا لائقين	الثقافة
	● قصة	
٤٦	آكل البسكويت	محمد المجذوب
	● لقاءات	
١٩	لقاء مع الاديب	علي المصري
	● كتب	
٢٣	حول ديوان بشار	موسى الاحمدي نويوات
٣٥	رياح كانون	سمر روحي الفيصل
	● شعر	
١٥	الرحيل	اسماعيل عدره
١٨	ماذا اجيب	عدنان قيطاز
٢٢	جواب مختصر	علي قاسم الخش
٣٤	الى زوجتي	محمود البارودي
	● منوعات	
٤٨	الموسوعة الموجزة	مصطفى الخش
٥٦	نافذة على العالم	الثقافة
٦٣	رسائل الاصدقاء	